الفصل الأول
السنــة النبويــة
مكانتها- وخصائصها- وضوابطها

- تمهيد.
- الأهمية التربوية للسنة النبوية.
- حِجية السنة النبوية ومكانتها.
- خصائص السنة النبوية.
- المبادئ الأساسية للتعامل مع السنة النبوية.
- أسس وضوابط للفهم الصحيح للسنة النبوية.
- ترجمة لأعلام الحديث الشريف محل الدراسة.

obeikandl.com

obeikandl.com

السنة النبوية : مكانتها -خصائصها – ضوابطها

تمهيد :

لقد قام الإسلام على دعامتين أساسيتين ، هما كتاب **الله تعالى** وسنة نبيه **(صلى الله عليه وسلم)** .أما القرآن فلأنه المصدر الأول للتشريع وأما السنة فلأن **الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم)** كان يؤدى عن ربه تفصيلا لما أجمل من القرآن ، أو تصريحا عن أمر ألمح إليه الوحى ، أو إجابة عن تساؤل تحيرت فيه أفكار الناس،أو تعبيرا عن إحساس عميق بحقائق الحياة ، وما هو كائن بعدها في الآخرة وكان سلوكه وخلقه القرآن الكريم وتعاليم الإسلام ؛ فعندما سئلت السيدة "عائشة" رضى **الله** عنها **عن خلق الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)** قالت: **"كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه"**(١) وبذلك كانت سنته **(صلى الله عليه وسلم)** الشرح والبيان والتطبيق العملي لما جاء في القرآن.

وكان تعبيره **(صلى الله عليه وسلم)** نمطا بديعا ، جمع بين جمال العبارة وتآلف كلماتها ،وشمول معناها ، وعمقه ودقته بحيث تترك من آثارها في نفس السامع: حقائق مستقرة ، توقظ المشاعر وتمتزج بالفطرة . ولذلك تيسر لعلماء الإسلام أن يميزوا صحيح الحديث من ضعيفه – بعد أن كثر الوضع والكذب على رسول **الله** – بمراجعة النص والعبارة ، إلى جانب ما اتبعوه من طرق علمية للتثبت من صحة الحديث وأمانة الراوى وصدقه .

ولقد اختلف العلماء في تعريف السنة كما تقدم في مصطلحات الدراسة باختلاف الغرض الذي يهتم به كل فريق منهم ، فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول **الله**

---

(١) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق،ج٦، ص ٥٧٥.

obeikandl.com

(صلى الله عليه وسلم) الإمام الهادى الذي أخبر الله عنه أنه أسوة حسنة لنا وقدوة ، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وصفات وأخبار وأقوال وأفعال ، سواء أكان ذلك حكما شرعيا أم لا ، وعلماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده ، ويبين للناس دستور الحياة، فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) الذي لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعى ، فهم يحولون النصوص في السنة النبوية إلى واقع نعيشه وهو ما يسميه الفقهاء "علم المناط" وهو تحويل النص من فكر زمنه ومكانه إلى واقع فعلى في حياة الناس ومعالجة مشاكلهم(١) ، كما أنهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوبا أو حرمة أو إباحة وغير ذلك.

ومهما اختلفت الأفكار حول ما يدور في السنة النبوية فهي المورد الذي لا يجف ولا ينضب ، فقد استمد منه المربون والمعلمون- على مر العصور - التوجيهات المشرقة والحكم البالغة والمواعظ المؤثرة ، والأمثال المعبرة ، والقصص الهادفة وألون الأمر والنهي ، والوعد والوعيد والترغيب والترهيب ،فالسنة النبوية تسير في خط القرآن في مخاطبة كيان الإنسان كله: عقله وقلبه، وهي تعمل على تكوين الشخصية المسلمة المتكاملة الناشئة على مبادئ التربية الإسلامية.

الأهمية التربوية للسنة النبوية:

تعد الأصول الفلسفية للتربية هي المنطلق للتفكير عند محاولة الإصلاح التربوى في المجتمع أو صياغة نظرية تربوية ، كما أن الأصول الفلسفية للتربية لا تنبع من فراغ وإنما

(١) أحمد محمد المقرى،"الأئمة المجتهدون وأصول مذاهبهم"، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، السنة (٥)، العدد(٧)، (مكة المكرمة :رابطة العالم الإسلامي،١٩٩٣م)،ص٣٧.

هي تنبع من واقع المجتمع التي تنشأ فيه، فتراث الأمة ومقوماتها لابد أن يكون أساس بناء تلك الأصول .

ولقد قدم الإسلام للبشرية فلسفة للتربية تظهر في آيات القرآن الكريم وكذلك في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) فالإسلام ليس عادات أو طقوس كما في المذاهب الأخرى وإنما الإسلام طريقة شاملة للحياة فهو يهديهم في الدنيا باتباع أوامر الله ثم يحصلون على الجزاء في الآخرة .

وبذلك فإن الأهمية التربوية للإسلام لا يمكن استخلاصها إلا بقراءة واعية لمصدري الإسلام القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة ،فهما عالجا جوانب النشاط الإنساني وعلاقة الإنسان بربه ومجتمعه والطريق الذي وصفه الله لبلوغ الإنسان أهدافه في الدنيا والآخرة .

والسنة هي المصدر الثاني للفقه والتشريع بعد كتاب الله تعالى ولهذا فدراسة السنة واسعة الأرجاء فهي تبحث في جميع كتب الفقه وفي جميع المذاهب وذلك لأن السنة مبينة للكتاب فهي التي تفصل ما أجمله القرآن الكريم وتقيد ما أطلقه وتخصص ما عممه ،فالسنة تبين الكتاب من وجه ، وهي من وجه آخر تدور في فلك الكتاب ولا تخرج عنه ؛ولذلك فلا نزاع في مصدرية السنة للتشريع في العبادات والمعاملات للفرد وللمجتمع وللدولة.(١)

والسنة النبوية شارحة للقرآن وأعلى مراتب التفصيل والتفسير عند جميع العلماء وبذلك فهي ذات قيمة تربوية عظيمة فالسنة النبوية ليست نصوصا تحفظ وتتردد على

(١) يوسف القرضاوي ، مرجع سابق، ص٥١.

ألسنة الحفاظ وإنما هي مهذبة لأخلاقيات الإنسان المؤمن ومهذبة لغرائزه البشرية فهي تقوّم الإنسان ليسير وفق المنهج الربانى .

ومن هنا فهي الموجهة نحو تكوين قواعد تربوية يسير عليها المجتمع المسلم بطريق ميسر وهو طريق الفطرة التي نشأ عليها الإنسان فهي تصنع السلوكيات والميول والاتجاهات التي تضمن توافق وانسجام هذا الإنسان مع مراد الله في الكون وهو هدف من أهداف التربية الإسلامية والتربية بصفة عامة .

وفي كتب السنة النبوية ثروة هائلة للتربوى لأنها تمتلئ بالتوجيهات التربوية والأحكام الواضحة والمواعظ وأحكام الثواب والعقاب والقصص التربوية الهادفة كما أن سلوكيات الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) هي قدوة للمسلمين فقد قال الله تعالى :

(لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾)

[سورة الأحزاب ، الآية (٢١)].

ونستنتج مما سبق أن السنة النبوية ليست فلسفة من الفلسفات الوضعية التي تتجه ناحية العقل أحيانا وأحيانا أخرى ناحية الجسم دون فهم لكينونة الإنسان وإنما هي تخاطب كيان الإنسان كله :عقله وقلبه وجسمه ؛ فالغرض من التربية بصفة عامة هو تكوين الشخصية في جميع النواحي منها الجسمية والعقلية والنفسية والخلقية والاجتماعية والبيئية وغيرها وهي ما تدعو إليه السنة النبوية المطهرة فهي تعمل على تكوين الشخصية المسلمة المتكاملة ، ذات العقل الذكي ، والقلب النقي ، والجسم القوى وهو مبدأ هام من مبادئ التربية .

وإذا نظر إلى السنة النبوية فيما يخص التربية البيئية في عامتها -وهو موضوع الدراسة الحالية - فإنها رسخت هذه المبادئ بمفهومها المعاصر واتجهت اتجاها تربويا نحو البيئة إدراكا وسلوكا ووعيا وتقويما لأفعال البشر وسلوكياتهم الحياتية و الأمثلة على ذلك كثيرة والباحث يسرد المثال الآتى ليؤكد على الأهمية التربوية للسنة النبوية فيما يخص التربية البيئية :

أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين أن الرجل الحريص على نقاوة بدنه ووضاءة وجهه ونظافة أعضائه يبعث يوم القيامة على هذه الحالة وضيء الوجه ، أغر الجبين ، نقي البدن والأعضاء ، فعن "أبى هريرة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) زار المقابر، فقال :" السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم عن قريب لاحقون .وددت أنا قد رأينا إخواننا ، قالوا ، أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، قالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟قال أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ،ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء"(١)

ومن خلال الحديث السابق يتضح أن صحة الأجسام وجمالها ونضارتها من الأمور التي وجهت السنة النبوية إليها عناية فائقة واعتبرها من صميم رسالتها ، ولن يكون الشخص راجحا في ميزان مطعمه ومشربه وهيئته الخاصة بعيدا عن الأدران المكدرة والأحوال المنفرة وليست صحة الجسد وطهارته صلاحا ماديا فقط بل إن أثرها عميق في تزكية النفس وتمكين الإنسان من النهوض بأعباء الحياة وما أحوج أعباء الحياة إلى الجسم الجلد والبدن القوي الصبور.

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج١، ص٢١٨. والمقصود " غرا محجلين" أي شديد البياض، "دهم" شديد السواد

والجسم السليم هو هدف من أهداف التربية التي تسعى إلى تنمية الفرد من جميع النواحى الجسمية والاجتماعية والبيئية والنفسية وغيرها؛ لكى يؤدى مهمته في الحياة والتربية البيئية هي جزء من منظومة العمل التربوى لكى يحيا الإنسان سعيدا وربطها هنا بالسنة النبوية يعد تأصيلا لهذه التربية مما يدلل على الأهمية التربوية للسنة النبوية.

ومن خلال ما سبق يتضح أن مسألة التربية البيئية في ضوء السنة النبوية مسألة تربوية بالدرجة الأولى ولعل أهمية العملية التربوية هنا تكمن في أنها تنمي سلوك الأفراد بما يتمشى وأهمية حماية البيئة والمحافظة عليها وتجعلهم يحترمون القوانين ويطبقونها ولكن هذا التطبيق قد يكون ناقصا إذا كانت هذه التربية وضعية لا تمثل سلوك الفرد المسلم والمفترض أن هذا الفرد ناشئ في كنف القرآن الكريم والسنة النبوية وهو ما يمثل الوازع الداخلى للفرد لكى تكون هذه القوانين هي سلوكه وتطبيقه لها بحافز ودافع داخلى وليس هذا الدافع مفتعل أو من أجل هدف مادى معين وهذا يؤكد أن الأهمية التربوية للسنة النبوية فيما يخص التربية البيئية ؛ ضرورة حتى يصبح فكر التربية البيئية جزءا من تفكيرهم وسلوكهم وتركيب شخصياتهم لأنه نابع من وازع ديني وليس شيء آخر ؛ وهذا يؤدى إلى تحسين البيئة على نحو أفضل من خلال الأفراد برغبة منهم وطواعية لا عن قسر أو إكراه .

فقد قدمت الرسول (صلى الله عليه وسلم) من خلال أحاديثه القولية والفعلية والتقريرية العديد من اللمحات والمواقف ، مما يدخل في جملته معينا رائعا ، نستطيع من خلاله أن نغترف في فكر التربية البيئية فالسنة النبوية تمثل واقعا حيا للإنسان وكيفيه تعامله مع الآخرين .

حجية السنة النبوية ومكانتها :

تظهر بوضوح مكانة السنة النبوية وحجيتها بما أقره الله (سبحانه وتعالى)من طاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيلاحظ في آيات القرآن الكريم :أن الأمر بطاعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جاء مقترنا بطاعة الله (سبحانه وتعالى)

قال تعالى :

(قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾)

[سورة آل عمران ، الآية (٣٢)].

فيرى أن الأمر بطاعة الله (تعالى) مقرون بالأمر بطاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، كما جاء التأكيد على طاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بإعادة الفعل (أطيعوا) لإثبات أى طاعة الرسول(صلى الله عليه وسلم) بدون شك في قوله تعالى:-

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ.....)

[سورة النساء ، الآية من (٥٩)]

كما جاءت طاعة الرسول(صلى الله عليه وسلم) منفردة في قوله تعالى:-

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾)

[سورة النساء ، الآية (٦٥).]

وقال أيضا سبحانه :

(..... وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧)

[سورة الحشر، الآية من(٧)]

ولقد بين الله (سبحانه) أن الرسول(صلى الله عليه وسلم) هو الذي يوضح القرآن الكريم والتشريعات والأحكام فقال (سبحانه) :

(.....وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ)

[سورة النحل، الآية من(٤٤)]

وكان لحديثه (صلى الله عليه وسلم) نمط فريد، اختص به (صلى الله عليه وسلم)؛ جمع بين الإيجاز في اللفظ والوضوح والجمال في التعبير؛لذلك وبرغم عدم تدوين الحديث أثناء حياته (صلى الله عليه وسلم) المباركة – حفظ الناس كل ما قال أو فعل أو أقرَّ فصحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانوا يحفظون عنه كل شيء حتى كلامه العادي وكان يصلى أمامهم ويقول (صلى الله عليه وسلم): " صلوا كما رأيتموني أصلى "(١).

وقال أيضا(صلى الله عليه وسلم) في حجة الوداع : "لتأخذوا عنى مناسككم فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه "(٢) ، بل إن السنة النبوية المشرفة تستقل بالتشريع في بعض الأحيان ، كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة و خالتهاوتحريم باقى القرابات ، بسبب الرضاعة ،عدا ما جاء به القرآن الكريم إلحاقا لهن بالمحرمات من النسب وكتحريم كل ذى ناب من السباع ، ومخلب من الطير وتحليل ميتة البحر.

---

(١) البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ،ت ٢٥٦هـ)، الأدب المفرد ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى ، ج١(بيروت : دار البشائر الإسلامية ،١٩٨٩م) ، ص ٨٤ .

(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٢، ص٩٤٣.

ومما سبق يتضح أنه بالأمر بطاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ووجوب طاعته وبيان الرسول (صلى الله عليه وسلم) للقرآن وباستقلال سنته الشريفة ببعض الأحكام والتشريعات بكل هذا تتضح حجية السنة النبوية المشرفة ما كان على سبيل الشرح للقرآن أو ما كان مستقلا منها بالتشريع كما أن ثبوت حجية السنة النبوية المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية .

وقد أرشد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أمته إلى حجية السنة وحذرهم من بعض الفئات الضالة التي تزعم الاكتفاء بالقرآن دون الحديث فقال (صلى الله عليه وسلم): " **ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة مُعاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه**"(١) ففي هذا الحديث الشريف دليل قاطع على أن هذا الشخص المتكئ على أريكته شخص جاهل لم يرحل للعلم ولم يطلبه من أهله فلقد تفردت السنة بأشياء كثيرة منها ما يختص بتحريم أكل الحمر الوحشية إلا في حالة المضطر وكذلك أيضا كل ذى ناب وكيفية الصلاة وعددها وأداء الزكاة ومناسك الحج وغيرها .

وبذلك يتضح من الحديث السابق معجزة السنة النبوية فقد ظهر بعض الناس قديما وحديثا يزعمون الاكتفاء بالقرآن ويتركون الأحاديث ، وفي هذه الدعوة الخبيثة هدم للدين كله وعدم معرفة ما جاء في القرآن الكريم ومن أجل هذا كله عنى المسلمون الأوائل بالسنة النبوية المطهرة منذ صدورها من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحفظوها في

---

(١) أبو داود (سليمان بن الأشعث أبو داود السجستانى الأزدى ،ت ٢٧٥) ، سنن أبي داود، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد،ج٤،(القاهرة : دار الفكر العربى ،د.ت) ، ص٢٠٠.

الصدور أو في السطور وسارعوا في نشرها وتبليغها ، استجابة لأمر رسولهم (صلى الله عليه وسلم) وابتغاء حصول دعوته المباركة لكل من بلغ عنه.

حيث قال (صلى الله عليه وسلم):"نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها ، فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع"(١) ، وقال أيضا(صلى الله عليه وسلم) "مثل ما بعثني الله عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"(٢).

ففي الحديثين السابقين يتضح أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رغب في التبليغ عنه وأوعد كاتمى بيانه بعظيم الوعيد وبليغ التخويف وفي الحديث الثاني قسم الرسول(صلى الله عليه وسلم) الناس الذين يأخذون منه الهدى والعلم إلى ثلاثة أقسام فقد مثل الرسول(صلى الله عليه وسلم) العلم بالمطر وقسم الأرض التي ينزل عليها المطر إلى ثلاثة أصناف كذلك الناس واستجاباتهم للهدى والعلم قسموا إلى ثلاثة أصناف(٣) :-

فالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميتا وينبت الكلأ فينتفع به الناس والدواب وغيره ، وكذلك النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم ، فيحفظه فيحيى قلبه ويعمل به ويعلمه غيره ، فينتفع وينفع .

---

(١) الأصبهانى (أبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهانى،ت ٤٣٠هـ) ، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم،تحقيق : محمد حسن إسماعيل الشافعى، ج١،(بيروت:دار الكتب العلمية،١٩٩٦م) ، ص٤١.

(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٤، ص١٨٧.

(٣) الإمام النووى (أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ت٦٧٦هـ) ، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٥ (بيروت : دار إحياء التراث العربى،١٣٩٢هـ) ، ص٤٦.

والنوع الثاني من الأرض يمسك الماء لغيره فينتفع به الناس والدواب وهذا النوع الثاني من الناس كذلك لهم قلوب حافظة ولكن ليست لهم أفهام ثاقبة يستنبطون بها المعنى والأحكام فهم يحفظون العلم حتى يأتى من يحتاج إليه فيأخذه منهم .

والنوع الثالث من الأرض "**القيعان** " التي لا تنبت فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به غيرها ، وكذلك النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية فإذا سمعوا الهدى والعلم لا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم .

وفي سبيل حفظ الحديث النبوي وجمعه وكتابته رحل المسلمون الأوائل الرحلات البعيدة وتحملوا قسوة الحياة ومشقة وسائل الانتقال ، حفاظا على الحديث النبوي الشريف ، حتى عرف عن بعضهم الرحلة من أجل حديث واحد ، وقد جاء في صحيح البخاري تعليقا وهو يفيد قوة الحديث أن جابر بن عبد الله الأنصارى رحل مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس من أجل حديث واحد(١) .

وقد جاء من طريق "**عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب أن جابر بن عبد الله حدثه قال بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسمعه منه قال فابتعت بعيرا وشددت رحلي وسرت إليه شهرا حتى أتيت الشام فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري رضي الله عنه فأرسلت إليه أن جابرا على الباب فرجع إلي رسوله فقال جابر بن عبد الله قلت نعم فدخل إليه الرسول فخرج إلي فاعتنقني واعتنقته فقلت حديثا بلغني أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم يحشر الله عز وجل الناس وأومأ بيده**

---

(١) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق،ج١،ص١٧٥.

نحو الشام عراة غرلا(أى لم يختنوا) بهما قلت ما بهما قال ليس معهم شيء فينادي بصوت يسمعه من بعدكما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطالبه بمظلمة حتى اللطمة قيل وكيف وإنا نأتي الله عزوجل عراة غرلا بهما قال بالحسنات والسيئات"(١)

ومعلوم أن الله (سبحانه) تكفل بحفظ القرآن الكريم لقوله تعالى :-

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩)[سورة الحجر: الآية (٩).]

وهذا اليقين يرشد إلى يقين قريب منه بأن الله (سبحانه) تكفل بحفظ كل صحيح من السنة النبوية ليكون بيانا للقرآن الكريم قال تعالى :-

(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩)[سورة القيامة : من الآية (١٧) إلى الآية (١٩).].

من أجل هذا يشاهد أن السنة النبوية المطهرة قد قيض لها من أسباب البحث والتدقيق في الاستيثاق ، مالم يحدث له نظير أبدا في تاريخ البشر.

فقد نقلت جميع أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله وتقريراته وصفاته الخُلقية والخِلقية وسيره ومغازيه ، بأدق طرق النقل ، التي لا تعرف الدنيا لها مثيلا .

وبرز عبر عصور الإسلام أئمة ينفون عن الحديث النبوي تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

ومن أبرز حفاظ الحديث من الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين)أبو هريرة (رضى الله عنه) ومن بعد ذلك الإمام البخاري (رضى الله عنه) في القرن الثالث الهجري

(١) أبو بكر الشيبانى (أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيبانى ،ت ٢٨٧هـ) ، الآحاد والمثاني، تحقيق :باسم فيصل أحمد الجوابرة ، ج٤،(الرياض: دار الراية، ١٩٩١م)،ص٧٩.

وكان أبرز الحفاظ أكثر تعرضا لهجوم المجرحين والناقدين من الجاحدين والناقدين من الجاهلين أو من أعداء الإسلام.

وبذلك يتضح أنه منذ ظهور الإسلام والاحتجاج بسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قائم كالاحتجاج بكتاب الله تعالى وفقا لضوابط معروفة لأئمة المسلمين ومجتهديهم والمسلمون ، كل المسلمين يعلمون من دين الله بالضرورة العقلية والبداهة الفطرية حجية السنة من أقوال وأفعال وتقريرات رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، في كل ما يتعلق بالتشريع والتبليغ والبيان ولا يسع مؤمنا بالله ورسله أن يقول بخلاف ذلك وكيف يسع مسلما أن يقول غير ذلك والسنة دائرة مع القرآن حيث دار تبين مجمله وتفصل مبينه وتوضح آياته ، وتفسر بياناته وتطبق شرائعه وقد تخصص ما يبدو أنه مفيد للعموم وتقيد ما يبدو أنه مفيد للإطلاق ولذلك كانت حجية السنة النبوية ضرورة دينية لم ينازع فيها أحد من المسلمين .

ولقد بذل الأئمة مجهودا جبار في انتقاء الأحاديث الصحيحة وعلى رأسهم الإمام البخاري والإمام مسلم وهما محل الدراسة الحالية فكلاهما بذلا عمرا طويلا وجهدا دؤوبا من أجل انتقاء وتبويب الأحاديث الصحيحة التي تنفع المجتمع في كل مكان وزمان وما يخص مشاكل المسلمين من أمور دينوية وأخروية وفيما يتعلق بمبادئ التربية البيئية وجد الباحث أن لهما حظا كبيرا في هذين الصحيحين وبالفحص الدقيق على أبواب الصحيحين وجد الباحث أحاديث لا حصر لها فيما يتعلق بمبادئ التربية البيئية .

وقد أودع البخاري جامعه (الصحيح) آيات عجبا من مبادئ وأصول التربية البيئية تدل على تبحره وشدة معرفته وذلك فيما ضمن أبوابه دقيق المسائل التي أعجز من بعده إدراك الكثير منها إلا بجهد ومشقة ، وربما عسر على الكثير معرفتها .

فقد وقع له في الصحيح وغيره من مصنفاته اختيارات تدل على معرفته التامة بالتربية البيئية وإن كان المصطلح حديثا إلا إنه يعى ما ينفع الفرد وارتباطه بالبيئة وحسن تعامله معها وهو ما نسميه في الوقت المعاصر تربية بيئية أو بالمعنى الصحيح فقه التربية البيئية .

خصائص السنة النبوية :

إن السنة هي التفسير العملي للقرآن والتطبيق الواقعي فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) هو القرآن مفسرا والإسلام مجسما ومن أراد أن يعرف المنهج العملي للإسلام بخصائصه وأركانه فعليه أن يتعرف على خصائص السنة النبوية ، وهذه الخصائص لا تنفصل عن خصائص الإسلام فهي روحه الشارحة لمصدره الأصلي وهو القرآن الكريم وهو وحي من الله وأساس هام من أسس التربية الإسلامية ويمكن إيجاز خصائص السنة النبوية كمصدر ثان للتشريع الإسلامي فيما يلي :

١-أساس السنة النبوية الوحي الإلهي :

قال تعالى :-

(إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤)

[سورة النجم ، الآية (٤)]

فالسنة النبوية مصدر وحي الله تعالى لرسول الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي أوتى جوامع الكلم وبليغ القول وكان يؤدى عن ربه تفصيلا لما أجمل من قرآن أو تصريحا عن أمر ألمح إليه الوحي أو إجابة عن تساؤل تحيرت فيه أفكار الناس أو تعبيرا عن إحساس عميق بحقائق الحياة وما هو كائن بعدها في الآخرة وقد كان

سلوكه وخلقه القرآن وتعاليم الإسلام وبذلك كانت سنته (صلى الله عليه وسلم) الشرح والبيان والتطبيق العملي لما جاء في القرآن .

كما أن التربية الإلهية ، للرسول المربي (صلى الله عليه وسلم) ، خلقت منه الشخصية المسلمة المتكاملة التي تهدف إليها فلسفة التربية الإسلامية ، فهو إنسان مثل كل البشر وكانت له حاجاته ومتطلباته ، وكان يشبعها حسبما تقوده الفطرة الإنسانية مع مبادئ الإسلام ، وخلقت التربية المحمدية-عند تطبيقها- جيلا عرف الله وآمن بالخالق ووعى الحق والعلم وحقق حضارة إسلامية أسهمت في بناء التقدم العالمي ، الذي ينبهر به الآن أبناء المجتمع العربي المعاصر ، دون أن يعوا أن الإنسان المسلم بالمعنى الذي بينه محمد (صلى الله عليه وسلم) هو صاحب اليد في هذه الحضارة العالمية(١) .

٢-العالمية :

وذلك لأن السنة النبوية لا تخاطب جنسا دون آخر أو دولة ما فهي صالحة لجميع الأجناس والأوطان قال تعالى :-

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧)

[سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧] .

فالرسالة النبوية مكملة للرسالات الدينية السابقة فقد قال (صلى الله عليه وسلم):"**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين** "(٢) فالرسول كان خاتم الأنبياء والمرسلين وهو المكمل لرسالات رب العالمين فهو اللبنة المتممة لهذه الرسالة العالمية .

---

(١)عبد الجواد سيد بكر،فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف ، (القاهرة: دار الفكر العربي،١٩٨٣)، ص٣٨٨.

(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ،ج٣،ص ١٣٠٠.

وبذلك يتضح أن السنة النبوية لا تخص وطنا معينا ولا جنسا معينا بل هي لغة عالمية تهدف إلى إسعاد البشرية وتوضيح ما يخص المشكلات التي يتعرض لها الجنس البشري بصفة عامة والفرد المسلم بصفة خاصة وكيفية التعامل مع الناس مع اختلاف دياناتهم .

٢- الموضوعية والواقعية :

السنة النبوية لا تحابى طرفا على آخر وتبتعد دائما عن الذاتية وقد عبرت السنة النبوية عن ذلك مثلا عندما جاء أحد الصحابة يشفع في حد من حدود الله لسيدة من أشراف القوم في حد السرقة فقال :" **أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**".(١)

ويتضح من الحديث الشريف السابق مدى الموضوعية التي تميزت بها السنة النبوية حيث يطبق الحدود حتى لو لأقرب المقربين إليه وبذلك يسود العدل وتطمئن النفوس .

والأحاديث النبوية تعتمد على حقائق ثابتة وهي بعيدة عن الخرافة والأساطير فهي واقعية تحل مشاكل الأفراد بصورة موضوعية ودون نفور من عرض الحقيقة حتى ولو كانت هذه الحقيقة صعبة للغاية وبذلك تتحقق صفتى الموضوعية والواقعية في السنة النبوية.

كما أن السنة النبوية تعطي صورا عدة لحياة الإنسان وتفاعلاته المادية والاجتماعية والبيئية ، وكيف يمكن تربيته ، وهي لا ترسم مثاليات أو عوالم خيالية ، لحياة الإنسان لا يمكن تحقيقها بل هي تضع الإنسان أمام أهدافها الروحية والجسمية والخلقية

---

(١) المرجع السابق ، ج ٣، ص ١٢٨٢.

والجمالية والاجتماعية ، فهي تضعه أمام أهداف قابلة للتحقيق ، تسمو بالإنسان إلى كمال الشخصية(١).

٤- التوازن والوسطية :

هو منهج يتميز بالتوازن فهو يوازن بين الروح والجسد وبين العقل والقلب وبين الدنيا والآخرة بين المثال والواقع بين النظر والعمل بين الغيب والشهادة بين الحرية والمسئولية بين الفردية والجماعية وبين الاتباع والابتداع ، فهو منهج وسط لأمة وسط(٢) ولهذا كان (**صلى الله عليه وسلم**) إذا لمح من بعض أصحابه جنوحا إلى الإفراط ، ردهم بقوة إلى الوسط وحذرهم من مغبة الغلو والتقصير "**فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فراش فحمد الله وأثنى عليه فقال ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**".(٣)

اتصفت السنة النبوية بالوسطية مما جنبها التطرف والجمود فهي دائما توازن بين المواقف فلا إفراط ولا تفريط وذلك على خلاف الأنظمة البشرية الأخرى في مواقفها الروحية والمادية والفردية والجماعية وقد يصل الاعتدال حتى في العبادة نفسها فقد ورد في باب الاعتدال أركان الصلاة وتخفيفها في صحيح مسلم ما يدعو إلى ذلك ، "**عن البراء بن عازب قال ثم رمقت الصلاة مع محمد صلى الله عليه وسلم فوجدت قيامه فركعته فاعتداله بعد ركوعه فسجدته فجلسته بين السجدتين فسجدته فجلسته ما بين التسليم**

---

(١) عبد الجواد سيد بكر ، مرجع سابق ، ص٣٨٨.
(٢) يوسف القرضاوي ، مرجع سابق، ص٢٤.
(٣) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٢٠.

والانصراف قريبا من السواء".[١] وكلمة قريبا عن السواء أى تعنى الاعتدال في القيام والسجود وعدم التكلف والإطالة وهو ما تدعو إليه السنة النبوية حتى في الطعام وغيرها .

ولما رأى (صلى الله عليه وسلم) مبالغة عبد الله بن عمرو في الصيام والقيام والتلاوة رده إلى الاعتدال قائلا:"**إن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فإن ذلك صيام الدهر كله**"[٢] ، فالبدن يلزمه الراحة والعين تلزمها النوم والأهل يلزمهم الإمتاع والمؤانسة ولضيفك حق عليك إكرامه ومشاركته في أموره .

٥- الإنسانية:

فقد أعلت السنة النبوية من قيمة الإنسان واهتمت به جسما وعقلا وعاطفة وحفظت له كرامته حيا أو مَيْتاً وحمت حياته من كل عدوان وقررت له من الحقوق والحريات ما يحفظ عليه خصائص إنسانيته ومقوماتها قبل أن تعرف الدنيا مبادئ الإعلان لحقوق الإنسان في عام ١٩٤٨م، وهناك أحاديث نبوية كثيرة تؤكد على حرية الإنسان وعدم قهره وإذلاله ولا تأتى مناسبة أو ظرف حتى يُذكر بعض الأحاديث التي تشجع على تحرير العبيد وعتقهم واحترام حقوقهم ومن هذه الأحاديث قول (صلى الله عليه وسلم) : "**من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه**"[٣] ، ونستنتج من الحديث السابق مدى حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على احترام الإنسان وإنسانيته فقد جعل بتحرير العبد عتقا من

---

(١) المرجع السابق ، ج١، ص٣٤٣.

(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٢ ،ص ٦٩٧."لزورك" : ضيوفك

(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٦ ،ص ٢٤٦٩.

النار وهذا أجزل الثواب وهذا نوع من الحافز حتى ينهي عصر العبودية والرقيق بالتدريج ويأخذ الإنسان حقه في الحياة الكريمة .

والسنة النبوية في تصورها للإنسان لا تذهب إلى ما ذهبت إليه المثالية من الإعلاء من شأن الروح والإقلال من شأن الجسد وبالتالي فهي لا تحقر المطالب الجسدية ولا تزدري الأعمال البدنية بل هي تقر المطالب البدنية وتدعو إلى إشباعها بطريقة مشروعة.

والروح والجسد كما تحددهما السنة النبوية ملاك الذات الإنسانية ، تنمو بهما الحياة ولا تنكر أحدهما في سبيل الآخر ، فلا يجوز للمؤمن بالقرآن الكريم والسنة النبوية أن يبخس للجسد حقا ليوفي حقوق الروح ، ولا يجوز له أن يبخس للروح حقا ليوفي حقوق الجسد(١).

٦- الشمولية :

امتازت السنة النبوية بالشمول فقد تناولت علاقات الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بمجتمعه فهي للبشرية عامة وخالدة إلى يوم القيامة ولذلك كانت أبواب السنة متكاملة لجميع الأحكام منها ما يختص بالعبادات وهي ما يتعلق بالطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج والنذور والأيمان وكل ما يشمل علاقة الإنسان بربه .

إذن فالسنة النبوية منهج يتميز بالشمول لحياة الإنسان كلها ، طولا وعرضا وعمقا فالطول : هو الامتداد الزمني والرأسي ، الذي يشمل حياة الإنسان من الميلاد إلى الوفاة ، بل من المرحلة الجنينية إلى ما بعد الوفاة .. والعرض : هو الامتداد الأفقي ، الذي يشمل مجالات الحياة كلها ، بحيث تسير معه الهداية النبوية في البيت وفي السوق وفي المسجد وفي الطريق وفي العمل وفي العلاقة مع الله والعلاقة مع النفس والعلاقة مع الأسرة والعلاقة مع

---

(١) عبد الجواد سيد بكر ، مرجع سابق ، ص١٣٣.

obeikandi.com

الآخرين مسلمين وغير مسلمين بل مع الإنسان والحيوان والجماد ، والعمق :هو الامتداد في أغوار حياة الإنسان ، فهي تشمل الجسم والعقل والروح وتضم الظاهر والباطن وتعم القول والعمل والنية.(١).

ونستنتج مما سبق أن السنة النبوية تتميز بالشمولية والتكامل وهي صالحة بصالح القرآن الكريم لكل زمان ومكان مع اختلاف في الشكليات وليس في روح التطبيق لأن لكل عصر مقال فالفكر النبوي ثابت أما تطبيقه فهو ما يناسب عصره وهذا ما أكده الرسول (صلى الله عليه وسلم).

٧- منهج ميسر :

من خصائص هذا المنهج اليسر والسهولة والسماحة فمن أوصاف هذا الرسول في كتب الأولين من التوراة والإنجيل ،قال تعالى:-

(ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾)

[سورة الأعراف ، الآية (١٥٧).]

فالدين الإسلامي منهج وسط بين أفكار المتطرفين من الديانات الأخرى فحرر الإسلام القيود والأثقال التي أثقلوا أنفسهم بها مثل المواثيق والعهود التي ترهق صاحبها.(١)

(١) يوسف القرضاوي ، مرجع سابق ، ص ٢٤.

فلا يوجد في سنة هذا النبي ما يحرج الناس في دينهم أو يرهقهم في دنياهم بل هو يقول عن نفسه :"**إنما أنا رحمة مهداة**"(٢)

فهو يفسر قول **الله تعالى** :-

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧)

[سورة الأنبياء ، الآية (١٠٧).]

وقال أيضا (**صلى الله عليه وسلم**) " **إنى بعثت بحنيفية سمحة**"(٣) وقال أيضا عندما بعث أبا موسى ومعاذا إلى اليمن موصيا إياهما بوصية موجزة محكمة " **يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا**"(٤) كل هذه الأحاديث تؤكد على يسر الإسلام فهو دين حضارى لا يريد التعنت ولا الإرهاب بل دين سماحة ويسر في حدود تعاليم **الله** ومبادئه.

٨- التميز اللغوى:

فقد كان لتعبيره (**صلى الله عليه وسلم**) نمط فريد ، جمع بين ملاحة العبارة وتآلف كلماتها وتجاذب أصواتها وشمول معناها وعمقه ودقته بحيث تترك من آثارها في نفس السامع حقائق مستقرة ومريحة توقظ المشاعر وتمتزج بالفطرة ولذلك تيسر لعلماء الإسلام أن يميزوا صحيح الحديث من سقيمه بمراجعة النص والعبارة إلى جانب ما اتبعوه من صحة الحديث وأمانة الرأى .

---

(١) ابن كثير (الإمام أبو الفداء عماد الدين بن عمر بن ضوء بن درع القرشى البصروى ثم الدمشقى،ت٧٧٤هـ)،تفسير القرآن العظيم، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد،ج١(المنصورة : مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع ،١٩٩٦م)،ص٦١.

(٢)النيسابورى (محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ،ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق : مصطفي عبد القادر عطا، ،ج١،(بيروت: دار الكتب العلمية ،١٩٩٠م)، ص ٩١.

(٣) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق،ج٢،ص٤٤٤.

(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٥،ص٢٦٩.

ونستنتج مما سبق أن السنة النبوية منهج تفصيلي لحياة الناس عامة والمجتمع الإسلامي خاصة فقد كان الرسول هو الموضح للقرآن والمجسد للإسلام بقوله وعمله وفكره وطريقة حياته في الحضر والسفر واليقظة والنوم واحترامه للبيئة التي يعيش فيها وحياته الخاصة وحياته العامة والعلاقة مع الله ومع الناس ومع الأقارب وغير الأقارب والأولياء والأصحاب وفي السلم والحرب وفي الصحة والبلاء كل هذا متمثل في خصائص السنة النبوية والتي تشمل التكامل والتوازن والتيسير والشمول .

مقومات أساسية للتعامل مع السنة النبوية :

ينبغي لمن يتعامل مع السنة أن يتعرف على المبادئ الأساسية التي يمكن من خلالها التعامل مع السنة النبوية ويعرف أدواتها وشروطها ويعرف درجة الحديث الذي يتناوله وهل كان في غاية الدقة والتمحيص أم لا ؟ وهل اشترط الراوي شروطا معينة ؟ وغير ذلك من شروط اتصال السند وعدالة الراوي وضبطه وعدم الشذوذ أو العلة ويمكن إيجاز المبادئ الأساسية التي يمكن من خلالها التعامل مع السنة النبوية المطهرة والتي أكدها أحد العلماء كما يلي (١) :

أولا : أن يستوثق من ثبوت السنة وصحتها حسب الموازين العلمية الدقيقة التي وضعها الأئمة الإثبات والتي تشتمل السند والمتن جميعا سواء كانت السنة قولا أم فعلا أم تقريرا ، ولقد بلغت علوم الحديث مبلغا عظيما فقد بلغ بها العلامة ابن الصلاح (٥٦ نوعا).(٢)

---

(١) يوسف القرضاوي ، مرجع سابق، ص ص٣٣-٣٤.

(٢) الشهرزورى(الإمام أبى عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزودى ،ت ٦٤٣هـ)، مقدمة ابن صلاح في علوم الحديث ، تحقيق : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م) ، ص١٣

ثانيا :- أن يحسن فهم النص النبوي ، وفق دلالات اللغة ، وفي ضوء سياق الحديث وسبب وروده وفي ظلال النصوص القرآنية والنبوية الأخرى وفي إطار المبادئ العامة والمقاصد الكلية للإسلام ، مع ضرورة التمييز بين ما جاء منها على سبيل تبليغ الرسالة وما لم يجئ كذلك ، وبعبارة أخرى : ما كان من السنة تشريعا وما ليس بتشريع وما كان من التشريع له صفة العموم والدوام وما له صفة الخصوص أو التأقيت ، فإن من أسوأ الآفات في فهم السنة خلط أحد القسمين بالآخر.

ثالثا – أن يتأكد من سلامة النص من معارض أقوى منه ، من القرآن ، أو أحاديث أخرى أوفر عددا ، أو أصح ثبوتا أو أوفق بالأصول وأليق بحكمه التشريع ، أو من المقاصد العامة للشريعة ، التي اكتسبت صفة القطعية ، لأنها لم تؤخذ من نص واحد أو نصين بل أخذت من مجموعة من النصوص والأحكام أفادت – بانضمام بعضها إلى بعض – يقينا وجزما بثبوتها .

أسس وضوابط للفهم الصحيح السنة النبوية :

ينبغي لمن يتعامل مع السنة معرفة الضوابط والمعالم التي تحكم السنة النبوية ويمكن من خلالها التمييز بين الجيد والرديء ويمكن إيجاز أهم هذه الأسس والضوابط كما يلي :

أولا : فهم السنة من خلال القرآن الكريم:

إن القرآن هو الدستور الأول للتشريع الإسلامي وأساس بنيانه فهو الدستور الأصلي وإليه يُرجع في كل الأمور وهو الوتد والعماد للأسس التشريعية والسنة والنبوية هي شارحة هذا الدستور ومفصلته فهي البيان النظري والتطبيق العملي للقرآن ومهمة الرسول

أن يبين للناس ما نزل عليهم ، وما كان للبيان أن يناقض المبَّين ولا للفرع أن يعارض الأصل فالبيان النبوي يدور في فلك القرآن الكريم ولا يتخطاه .

ولهذا لا توجد سنة صحيحة ثابتة تعارض محكمات القرآن وآياته الواضحة وإذا ظن البعض وجود ذلك فلابد أن تكون السنة غير صحيحة أو يكون الفهم غير صحيح أو يكون التعارض وهميا لا حقيقيا .

ويستخلص من ذلك أنه لابد من تناول السنة في ضوء القرآن الكريم فلكى تفهم السنة فهما صحيحا ، بعيدا عن التحريف والانتحال وسوء التأويل فلابد أن تفهم في ضوء القرآن الكريم وفي دائرة توجيهاته الربانية.

ومن ضمن الأمثلة التي توضح أنه لابد من رد الأحاديث إلى الآيات القرآنية ما رواه أبو داود "**الوائدة والموءودة في النار**"(١) فمن ظاهر الحديث يقع شيء من الظلم الذي يتنافي مع أحاديث رسول الله ولكن نجد القرآن مبرئا للموءودة **فقال تعالى** :-

(وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾)

[سورة التكوير، الآيتان (٨-٩)]

فمن الظاهر أن هذا الحديث ضعيف فليس كل ماورواه أبو داود في سننه صحيحا كما يعلم أهل هذا الشأن ولكن وُجد من نص على صحته فقد روى "**الوائدة والموءودة في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فتسلم** "(٢) أى أن للوائدة فرصة للنجاة من النار والموءودة لا فرصة لها وهذا يتنافي مع رواية **رسول الله** حينما سأله الصحابة لماذا القاتل والمقتول في النار فقال "**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقلت يا رسول الله هذا**

---

(١) أبو داود ،مرجع سابق، ج٤، ص ٢٣٠.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل ،مرجع سابق، ج٣ ، ص ٤٧٨.

القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه"([1]) ففسر لهم وجه استحقاقه للنار بنيته خروجه لمقاتلة صاحبه([2]) وقد فسر حديث الموءودة في صحيح ابن حبان على أنه الوائدة والموءودة في حالة الكفر وليس بين المسلمين([3]).

نستنتج مما سبق أنه لابد من إعمال العقل في الأحاديث في حدود ما قرره الله في قرآنه الكريم وأحاديث أخرى صحيحه رواها الرسول نفسه كما يتضح أيضا أنه من الواجب بمكان أن تفهم السنة في ضوء القرآن الكريم لأنه الدستور الأصلى والمرجع الربانى.

ثانيا : جمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد:

لكى تفهم السنة النبوية فهما صحيحا لابد أن تجمع الأحاديث الصحيحة في الموضوع الواحد بحيث تفسر بعضها بعضا وتجعل الشك يقينا ويفسر عامها بخاصها فإذا كان القرآن مفسر من قبل السنة وهي التطبيق العملي له فلابد للسنة أن تفسر من خلال السنة.

ومثال ذلك حديث البخاري الذي رواه في باب المزارعة من صحيحه عن أبى أمامة الباهلي حين نظر إلى آلة الحرث فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :ثم لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل".(٤)

إن ظاهر هذا الحديث يدل على كراهية الرسول (صلى الله عليه وسلم) للزراعة التي تؤدى إلى ذل العاملين بها وهذا نوع من التشويه مع أنه لو جمعت الأحاديث الواردة في

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج١،ص٢٠.

(٢) يوسف القرضاوي ، مرجع سابق، ص٩٦.

(٣)ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ،ت ٣٥٤هـ) ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، ج١٦،(بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م) ، ص ٥٢٢.

(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٢،ص٨١٧.

هذا الشأن لدلت على حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على المزارعة والمساقاة ومما يدل على ذلك جملة الأحاديث التالية :

فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"(١) وقال أيضا (صلى الله عليه وسلم): " ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ، وما يرزؤه أحد (أى ينقصه ويأخذ منه) إلا كان له صدقة".(٢) وقال أيضا(صلى الله عليه وسلم) : حينما دخل على أم معبد حائطا ، فقال : " يا أم معبد ، من غرس هذا النخل ؟ أمسلم أم كافر ؟ فقالت بل مسلم .قال : فلا يغرس المسلم غرسا ، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة"(٣)

فالمؤمن مثاب على ذلك ويأخذ ثواب الصدقة على ما يؤخذ من ثمره غرسه ولو لم يكن له فيه نية ، مثل ما يأكله السبع والطير وما يسرق منه السارق وما يرزؤه به من يرزؤه من غير أن يأذن له فيه وهي صدقة دائمة غير منقطعة ما دام هناك كائن حى ينتفع بهذا الغرس أو الزرع .

والزراعة نوع من تعمير الأرض الذي أمر الله به فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ،فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها"(٤) وهذا يدل على قيمة العمل والنفع فليظل الإنسان يعمل ويكد

---

(١) المرجع السابق ،ج٢، ص٨١٧.

(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٣،ص١١٨٨ .

(٣) المرجع السابق ،ج٣، ص١١٨٨.

(٤) أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ، ج٣، ص١٧١.

حتى تنتهي آخر لحظة في الدنيا وهو مقصد الله في التعمير حتى ولو كان ذلك آخر لحظة في الدنيا .

ولكن ماذا يعنى حديث أبى إمامة الذي في ظاهرة يتعارض مع جملة الأحاديث السابقة ولكن قصد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا الحديث ألا يهمل الناس العمل بالجهاد لأن هناك أولويات داخل الدولة الإسلامية ولو اعتمدت الدولة الإسلامية على الزراعة لما أصبحت أمة يحبها الله ورسوله فالدولة تقوم على أساسيات كثيرة منها الصناعة والجيش والتجارة والزراعة وغيرها ولو اعتمدت على الزراعة فقط لما كان هذا تعميرا بل جاوز الحد وأدى بالناس إلى الضعف والباحث يضرب مثلا لذلك بـ "مصر" حيث اعتمدت قرونا كثيرة على الزراعة والفلاحة دون أى اهتمامات بمجالات الحياة الأخرى وأدى بها إلى الضعف واحتلها الغاصبون من كل حدب وصوب ، فالله يرضى لعباده التعمير بجميع أشكاله وأنواعه لا الاتجاه إلى نوع معين من العمل في ذاته دون غيره.

ويستخلص مما سبق أن الاكتفاء بظاهر الحديث دون النظر في سائر الأحاديث والنصوص المتعلقة بهذا الموضوع كثيرا ما يوقع في الخطأ ويبعد عن الصواب وعن المقصود من الحديث .

ثالثا: الجمع أو الترجيح بين مختلف الحديث :

النصوص التشريعية في الأصل لا تتعارض أو تختلف فيما بينها فقد ترى في أمور في الظاهر أن الأحاديث متعارضة ولكن حين يحسن فهمها نجد أنه لا يوجد أي تعارض .

ومثل ذلك حديث رسول الله عن زيارة القبور "أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعن زوارات (زائرات) القبور"(١).

(١) القزويني (محمد بن يزيد أبو عبد الله القزوينى ،ت ٢٧٥) ، سنن ابن ماجه، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى ، ج ١،(بيروت : دار الفكر ، د.ت) ، ص ٥٠٢.

وفي مقابل هذا الحديث يرى موافقة على زيارة القبور بجملة الناس وليس النساء فقط في قوله (صلى الله عليه وسلم)" كنت نهيتكم عن زيارة القبور ،فزوروها"(١) ، فيدخل النساء تحت الإذن العام بالزيارة ومنها أيضا ما روى أن" فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانت تزور قبر عمها حمزة ، كل جمعة ، فتصلى وتبكى عنده "(٢).

ومع أن هذه الأحاديث تدل على الأذن أكثر من المنع ويمكن تفسير الحديث الأول على أساس أنه يلعن التي تكثر من الزيارة "زوّارات" وهي صيغة مبالغة فقد يؤدى كثرة زيارتها إلى تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ من العويل ونحو ذلك مما يخرجه من روح الإيمان والاقتداء والعظة(٣) .

وإذا لم يمكن الجمع بين الحديثين المتعارضين أو الأحاديث المتعارضة في ظواهرها فليلجأ إلى الترجيح بينها ، فيرجح أحدها على غيره بأحد المرجحات التي ذكرها العلماء وقد عددها السيوطى في كتابه (تدريب الراوى على تقريب النواوى) فبلغت أكثر من مائة ومما يتصل بموضوع التعارض بين الأحاديث : قضية الناسخ والمنسوخ في الحديث فلابد للباحث في الحديث التعرف على الأحاديث الناسخة والأحاديث المنسوخة (٤).

يستخلص مما سبق أنه من الأمور المهمة لحسن فهم السنة التوفيق بين الأحاديث الصحيحة التي تتعارض ظواهرها وتختلف أحيانا معانى متونها والجمع بين المتوافق منها ووضع كل منها في موضعه الصحيح بحيث تتوافق ولا تختلف وتتكامل لا تتناقض.

رابعا فهم الأحاديث في ضوء أسبابها وأهدافها والظروف التي نشات فيها :

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٦٧٢.

(٢) محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق ،ج٣، ص٣٠.

(٣)الإمام القرطبى ،، مرجع سابق ، ج٢٠،ص١٧٠.

(٤) يوسف القرضاوي ، مرجع سابق، ص١١٧.

إن القرآن الكريم عندما يفسر لابد من معرفة أسباب النزول حتى لا يقع المفسر في الخطأ والتفسير الظاهرى الذي يوقع في الخطأ وإذا كانت أسباب النزول مطلوبة لمن يفهمه أو يفسره كانت أسباب ورود الحديث أشد طلبا .

ذلك أن القرآن بطبيعته عام وخالد وليس من شأنه أن يعرض للجزئيات التفصيلات إلا لتؤخذ منها المبادئ والعبر.

أما السنة فهي تعالج كثيرا من المشكلات الموضعية والجزئية وفيها من الخصوص والتفاصيل ما ليس في القرآن .

فلابد من التفريق بين ما هو خاص وما هو عام وما هو مؤقت وما هو خالد وما هو جزئى وما هو كلى فلكل منها حكمه والنظر إلى أسباب وملابسات الحديث أمر لا غنى عنه حتى لا تقال العبارة المشهورة حمّل النص أكثر مما يحتمل .

ومثال ذلك حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " أنتم أعلم بأمر دنياكم"(١) فهذا الحديث اتخذه البعض ذريعة للتهرب والغش في المجالات الاقتصادية والمدنية وغيرها لأنهم أرادوا أنها من شئون دنياهم وليس للدين من شيء فأطلقوا العموم على حديث قصد به شيء معين في قصة تأبير النخل أى تلقيح النخل فقد قال الرسول(صلى الله عليه وسلم) بعدم التأبير ثم رجع عن هذا لأنه ليس بزارع وليس بخبير بأمور الزراعة فقال :" إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن ...إلى أن قال :أنتم أعلم بأمر دنياكم"(٢).

وليس معنى هذا أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) لا يعرف في أمور الاقتصاد والتجارة وغيرها ولكن هذا الحديث وقتى بغرض إيضاح شيء معين ولكن الرسل أرسلوا ليضعوا للناس قواعد العدل وضبط الحقوق والواجبات وتنظيم المعاملات من بيع

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ،مرجع سابق ، ج٤، ص١٨٣٦.
(٢) المرجع السابق ،ج٤، ص١٨٣٦.

وشراء وشركة ورهن وإجارة وغيرها فلا يطلق هذا الحديث على عمومه بل لابد من معرفة الملابسات التي نزل فيها هذا الحديث .

ونستنتج مما سبق أنه من الواجب النظر في الأحاديث على أسباب نزولها نظرا لارتباطها بشيء معين مع مراعاة الظروف الزمنية للنص أو معالجة مشكلة وقتية فلابد لفهم الحديث فهما سليما من معرفة الملابسات التي سيق فيها النص وجاء بيانا لها وعلاجا لظروفها حتى يعرف معنى الحديث بدقة وعدم تفسيره بظاهره وعمومه وكذلك لابد من النظر في النصوص على عرفها الزمنى الذي كان قائما في عصر النبوة ثم تغير في عصرنا فلا حرج علينا من النظر في مقصود النص دون التمسك بحرفيته.

خامسا : التمييز بين الوسيلة المتغيرة والهدف الثابت للحديث :

قد خلط البعض بين المقاصد والأهداف الثابتة التي تسعى السنة إلى تحقيقها فيتمسكون بالوسائل ويبتعدون عن الموضوع أو الهدف المقصود .

ومن هنا نجد اهتمام كثير من الدارسين للسنة ، والمهتمين بالطب النبوي يركزون بحثهم واهتمامهم على الأدوية والأغذية والأعشاب والحبوب وغيرها مما وصفه **النبي – صلى الله عليه وسلم** – للتداوى به في علاج بعض العلل والأمراض البدنية ؛ ومن ثم يركزون أحاديثهم المعروفة هنا مثل :

" خير ما تداويتم به الحجامة "(١)-" خير ما تداويتم به الحجامة والقسط البحرى"(٢) -" عليكم بهذا العود الهندى فإن فيه سبعة أشفية ..."(٣)

---

(١) محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، مرجع سابق ج٤،ص٢٣٣.

(٢) أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ١٠٧.

(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٥، ص٢٥٩.

وهنـاك مـن يـرى أن هـذه الوصـفات ومـا شـابهها ليسـت هـي روح الطـب النبوي([1])بل روحه المحافظة على صحة الإنسان وحياته وسلامة جسمه وقوته وحقه في الراحة إذا تعب وفي التداوى إذا مرض وأن التداوى لا ينافي الإيمان بالقدر ولا التوكل على الله تعالى وأن لكل داء دواء وإقرار سنة الله في العدوى وشرعية الحجر الصحى والعناية بالنظافة الإنسان والبيت والطريق ومنع تلويث المياه والأرض ، والاهتمام بالوقاية قبل العلاج وتحريم كل ما يضر تناوله بالإنسان من مسكر أو مفتر أو أى غذاء ضار أو مشروب ملوث وتحريم إرهاق الجسم الإنسانى ولو في عبادة الله تعالى ، وتشريع الرخص حفظا للأبدان ، والمحافظة على الصحة النفسية بجوار الصحة الجسدية إلى غير ذلك من التوجيهات التي تمثل حقيقة الطب النبوي الصالح لكل زمان ومكان .

إن الوسائل قد تتغير من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى أخرى بل هي لابد متغيرة فإذا نص الحديث على شئ منها فإنما ذلك لبيان الواقع لا ليقيدنا بها ويجمدنا عندها ومثال ذلك أن اتخاذ السواك لتطهير الأسنان ، فالهدف هو طهارة الفم حتى يرضى الرب كما في الحديث " السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب"[(٢)] ولكن هل السواك مقصود لذاته أم كان هو الوسيلة الملائمة الميسورة في جزيرة العرب ؟ فوصف لهم النبي – صلى الله عليه وسلم – ما يؤدى الغرض ولا يعسر الفهم .

وبهذا نعلم أن (الفرشاة) والمعجون يمكن أن يقوما مقام الأراك في عصرنا وخصوصا في البيت وبعد الأكل وعند النوم .

سادسا : التفريق بين الحقيقة والمجاز في فهم الحديث :

(١) يوسف القرضاوي ، مرجع سابق، ص١٤٠.

(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص٦٨٢.

العربية لغة للمجاز فيها نصيب موفور والمجاز أبلغ من الحقيقة كما هو مقرر في علوم البلاغة والرسول الكريم أبلغ من نطق بالضاد فلا عجب أن تتضمن الأحاديث الكثير من المجازات المعبرة عن المقصود بأروع صورة .

والمراد بالمجاز هنا : ما يشمل المجاز اللغوى والعقلى والاستعارة والكناية والاستعارة التمثيلية وكل ما يخرج باللفظ أو الجملة عن دلالتها المطابقية الأصلية ،وإنما يعرف المجاز في الكلام بالقرائن الدالة عليه سواء كانت قرائن مقالية أم حالية(١) ومن ذلك ما ينسب فيه الكلام والحوار إلى الحيوانات والطيور والجمادات .

وهذا باب التصوير والتمثيل ولا يعد هذا من الكذب في الأخبار ومثال ذلك حمل الكلام على المجاز يكون متعينا وإلا زلت القدم وسقط المرء في الغلط فحين قال **الرسول – صلى الله عليه وسلم** لنسائه من أمهات المؤمنين : **" اسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا"**(٢) حمل على طول اليد الحقيقى المعهود قالت عائشة : فكن يتطاولن (**رضى الله عنهن**) أيتهن أطول يدا ؟!والرسول لم يقصد ذلك إنما قصد طول اليد في الخير وبذل المعروف وهذا ما صدقه الواقع فكانت أول نسائه لحوقا به سودة(٣) .

ونستنتج مما سبق أن إغلاق باب المجاز في فهم الأحاديث والوقوف عند المعنى الأصلى الحرفي للنص يصد كثيرا من المثقفين المعاصرين عن فهم السنة بل عن فهم الإسلام ويعرضهم للارتياب في صحته إذا أخذوا الكلام على ظاهره في حين يجدون في المجاز ما يشبع نهمهم ويلائم ثقافتهم ولا يخرجون به على منطق اللغة ولا قواعد الدين ، ولكن يحذر

---

(١) الرزاى(الإمام محمد بن بكر بن عبد القادر الرازى)، مختار الصحاح ، ج١(بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٩) ، ص٢٤٢.

(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٢، ص٥١٥.

(٣) المرجع السابق ، ج٢، ص٥١٥.

تأويل الأحاديث إلا بعد الرجوع للشروح والتفاسير التي تؤول هذا الحديث فكثيرا ما تؤول الأحاديث لاعتبارات ذاتية أو موضوعية ثم يظهر للباحث المدقق بعد أن الأولى تركها على ظاهرها .

سابعا: التأكد من مدلولات ألفاظ الحديث :

ومن المهم جدا لفهم السنة فهما صحيحا : التأكد من مدلولات الألفاظ التي جاءت بها السنة فإن الألفاظ تتغير دلالتها من عصر لآخر ومن بيئة لأخرى وهذا أمر معروف لدى الدارسين لتطور اللغات وألفاظها وأثر الزمان والمكان فيها .

فقد يصطلح الناس على ألفاظ للدلالة على معان ولكن المخوف هنا هو حمل ما جاء في السنة من ألفاظ على المصطلح الحادث وهنا يحدث الخلل والزلل .

وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالى على تبدل أسامى بعض العلوم والمعانى عما كانت تدل عليه في عهود السلف وحذر من خطر هذا التبدل وتضليله لأفهام من لا يتعمقون في تحديد المفاهيم وعقد لذلك فصلا في (كتاب العلم)من(كتاب إحياء علوم الدين) قال فيه : " **اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامى المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول** "(١)

إن هناك ألفاظا كثيرة بدلت في مجالات شتى يصعب حصرها ، ثم لا يزال هذا التبدل يتسع مع تغير الزمان وتبدل المكان وتطور الإنسان إلى أن تصبح المسافة بعيدة بين المدلول الشرعى الأصلى للفظ والمدلول الحديث وهنا ينشأ الغلط وسوء الفهم غير المقصود .

---

(١) أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين، (القاهرة : مكتبة فياض، ١٩٩٧) ، ص٢٥٤ .

فهناك من يرى أن كلمة (تصوير) قد جاءت لتدل على أن المصورين سوف ينالون أشد العذاب في أحاديث كثيرة في الصحيحين منها " **نهي عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغي ولعن آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور**"(١).

إن كثيرا من المشتغلين بالحديث والفقه يدخلون تحت هذا الوعيد أولئك الذين نسميهم في هذا العصر (**المصورين**) من كل من يستخدم الآلة التي تسمى (**الكاميرا**) ويلتقط هذا (**الشكل**) الذي يسمى (**صورة**)(٢).

فهل هذه التسمية ، تسمية صاحب الكاميرا (مصورا) وتسمية عمله (تصويرا) تسمية لغوية؟ لايزعم أحد أن هذه التسمية تسمية شرعية لأن هذا اللون من الفن لم يعرف في عصر التشريع فلا يتصور أن يطلق عليه لفظ مصور وهو غير موجود فمن سماه مصورا وسمى عمله تصويرا إذن ؟ ، إنه العرف الحادث إنه نحن أو أجدادنا الذين ظهر هذا الفن في زمانهم وأطلقوا عليه اسم التصوير (**الفوتوغرافي**) . وكان يمكن أن يسموا من يقوم به (**العكاس**) فليس التصوير إلا انعكاس للصور كما تنعكس الصورة في المرآة وكما سمى عصرنا العكس الفوتوغرافي تصويرا ، فقد سمى التصوير المجسم (**نحتا**) وهو ما عبر عنه علماء السلف بأنه (**ما له ظل**) وهو الذي أجمعوا على تحريمه في غير لعب الأطفال.

وخلاصة القول يمكن إجمال الشروط الواجب توافرها مع من يتعامل مع السنة النبوية أن يكون شروح وتفاسير القرآن هدى في طريقه نحو السنة النبوية وأن يجمع الأحاديث النبوية المتفرقة تحت موضوع معين ومقارنة هذه الأحاديث النبوية الشريفة ثم تنقيحها واختيار الصحيح منها وهناك الكثير من الأحاديث المختلفة والتي يصعب على

---

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص٢٢٣.

(٢) يوسف القرضاوي ، مرجع سابق، ص ص١٨٠-١٨١.

الباحث العادي فض الإشكال فيها فلابد من جمع هذه الأحاديث ثم ترجيح بعضها على بعض لنصل إلى لب الموضوع وما يتناسب مع القيم النبوية الشريفة فحقا أنه من الأمور المهمة لحسن فهم السنة النبوية التوفيق بين الأحاديث الصحيحة التي تتعارض ظواهرها وتختلف أحيانا معانى متونها والجمع بين المتوافق منها ووضع كل منها في موضعه الصحيح بحيث تتوافق ولا تختلف وتتكامل لا تتناقض ، كما من شروط فهم الأحاديث النبوية أن تفهم في ضوء أسبابها وأهدافها والظروف التي نشأت فيها مثل حديث"**أنتم أعلم بشئون دنياكم** " فإنه من الواجب النظر في الأحاديث على أسباب نزولها نظرا لارتباطها بشيء معين مع مراعاة الظروف الزمنية للنص أو معالجة مشكلة وقتية فلابد لفهم الحديث فهما سليما من معرفة الملابسات التي سيق فيها النص وجاء بيانا لها وعلاجا لظروفها حتى يعرف معنى الحديث بدقة وعدم تفسيره بظاهره وعمومه وكذلك لابد من النظر في النصوص على عرفها الزمنى الذي كان قائما في عصر النبوة ثم تغير في عصرنا فلا حرج علينا من النظر في مقصود النص دون التمسك بحرفيته.

كذلك من الضوابط لفهم السنة التمييز بين الوسيلة المتغيرة والهدف الثابت للحديث النبوي مثل الأحاديث الواردة في العلاج والطب **فليس الرسول (صلى الله عليه وسلم)** بعالم في الطب والأمراض ولكنه مرشد ومعلم تربوي فالهدف من أحاديثه في الطب النبوي هو المحافظة على صحة الإنسان من الأمراض والعلل والأخذ بالأسباب وليست الوسيلة هي المقصودة في حد ذاتها .

ومن الضروري لفهم السنة النبوية أن يفرق الباحث فيها بين الحقيقة والمجاز فعلي من يبحث في السنة النبوية أن يكون على قدر معقول من دراسة اللغة العربية وآدابها وبلاغتها فمن المعروف أن اللغة العربية هي لغة المجاز، فالإنسان غير الدارس للغة العربية

من الممكن أن يقع في إشكال في فهم الحديث وتفسيره دون معرفة المقصود منه لأنه يتحدث بلغة المجاز.

وأخيرا ينبغي على الباحث في السنة النبوية أن يتعرف على مدلولات الألفاظ ومدى تغيرها من عصر إلى عصر كما عليه أن يدرس التطور اللغوي والتراكيب اللغوية القديمة والحديثة ومقارنتها بعضها ببعض للوصول إلى المعنى المراد دون وقوع في فهمٍ خطأ.

ترجمة لأعلام الحديث الشريف محل الدراسة:

اتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن الكريم الصحيحان صحيح البخاري وصحيح مسلم فقد روى أن " **أول من صنف الصحيحَ البخاريُّ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري مع أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه يشاركه في كثير من شيوخه وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز** "(١) فلقد تلقتهما الأمة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة وقد صح أن مسلما كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث فلقد بقى في تهذيب صحيحه وانتقائه ست عشرة سنة وجمعه من ألوف مؤلفة من الأحاديث الصحيحة (٢).

---

(١) الإمام أبى عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزودى ، مقدمة ابن صلاح في علوم الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥.

(٢) المرجع السابق ، ص٢٠.

التعريف بالإمام البخاري :

نسبه ومولده :

هو الإمام الثقة الحافظ أمير المؤمنين في الحديث " محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَردزبَه -"وهي لفظة بخارية معناها الزارع "(*) "وبردزبه هذا كان مجوسيا ومات عليها وأسلم ابنه على يد والى بخارى(**)- الجعفي -وقيل له جعفي لأن أبا جده أسلم على يدي أبى جد عبد الله المسندي ويمان جعفي فنسب إليه لأنه مولاه من فوق(***) البخاري"(١) ،"وولد محمد بن إسماعيل يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة وكان إسماعيل -والد البخاري-محدثا إلا أنه لم يكن مكثرا من الرواية ، فقد ذكره ولده في (التاريخ الكبير) ولكن مات إسماعيل والبخاري صغير، فنشأ في حجر أمه يتيما غير أن أباه خلف له مالا كثيرا ، وكان مالا طيبا مباركا ، فقال قال أبوه عند موته: (لا أعلم من مالي درهما من حرام ، ولا درهما من شبهة) وكان هذا مما استعان به البخاري على الاشتغال بطلب العلم وحج البخاري في صغره مع أمه وأخيه الأكبر أحمد فأقام البخاري بمكة مجاورا يطلب العلم زمانا "(٢).

رحلاته :

كانت الرحلة في طلب العلم عنوانا بارزا وسمة ظاهرة في سلوك أهل الحديث فلما كان من شأن البخاري الإقبال على هذا العلم استن بسنتهم وسار على نهجهم ،فلم تقنع

(*) الذهبى(محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، ت ٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، ط٩ ،ج١٢،(بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ)، ص ٣٩١.

(**) البغدادى (أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد ،ج٢(بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت)، ص ٦.

(***) المرجع السابق ، ج٢، ص٦

(١) ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ابن خلكان ، ت ٦٨١) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق :إحسان عباس ، ج(٣)،(بيروت : دار الثقافة ، د.ت)، ص٦٦.

(٢) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق،ج١، ص٥٠١.

بالسماع من أهل بلده وإنما رحل في الطلب فطاف الأقاليم الإسلامية وكانت بداية رحلته سنة ٢١٠هـ أى وعمره ست عشرة سنة ، وهو عام خروجه إلى الحج مع أمه وأخيه.ومن البلاد التي دخلها البخاري مايلي[١] :-

١- خراسان وما جاورها .
٢- البصرة.
٣- الكوفة.
٤- بغداد.
٥- الحجاز (مكة والمدينة).
٦- الشام.
٧- الجزيرة (وهي عدة مدن واقعة بين دجلة والفرات)
٨- مصر.

شيوخه :

يتميز البخاري بكثرة شيوخه ومن كتب عنهم وحدث عنهم وقد قسموا إلى مراتب وطبقات : "(المرتبة الأولى) من حدثه عن التابعين مثل محمد بن عبد الله الأنصارى حدثه عن حميد ، ومثل مكى بن إبراهيم حدثه عن يزيد بن أبى عبيد، وغيرهم (المرتبة الثانية) من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقاة التابعين كآدم بن أبى إياس وأبى مسهر عبد الأعلى بن مسهر وسعيد بن أبى مريم وغيرهم ،(المرتبة الثالثة) هي الوسطى من مشايخه وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع الأتباع كسليمان بن حرب وكتيبة بن سعيد ونعيم بن حماد وغيرهم ،(المرتبة الرابعة) رفقاؤه في الطلب ومن سمع قبله قليلا كمحمد

(١) البغدادى (أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ٤٦٣هـ)، مرجع سابق ، ج٢، ص٢٨.

obeikandl.com

بن يحيى الذهلى وأبى حاتم الرازى ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة وغيرهم (المرتبة الخامسة) قوم في عداد طلبته في السن والإسناد سمع منهم للفائدة كعبد الله بن حماد الآملى وعبد الله بن أبى العاص الخوارزمى وغيرهم "(١).

تلاميذه :

لما رفع الله عزوجل للبخاري ذكره بما آتاه من حفظ السنن والعلم مع المعرفة والإتقان ، اشتغل بأداء حق الله تعالى عليه فيما آتاه فعقد مجالس الإملاء وقعد للناس يحدثهم وكان ذلك شأنه في أكثر ما يدخل من البلاد وكان يحضره خلق كثير من الناس وفيهم الحفاظ والفقهاء وغيرهم ، ومن أهم تلاميذه ما يلي(٢) : -

١. الإمام أبو حسين مسلم بن الحجاج النيسابوري
٢. الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي
٣. الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة
٤. الإمام صالح بن محمد .
٥. الإمام أبو الفضل أحمد بن سلمة النيسابوري
٦. الإمام محمد بن نصر المروزي.
٧.

صفاته وشمائله :

اتصف الإمام البخاري (رحمه الله) بصفات قلما يتمتع بها إنسان عاقل فهو بحق يعد أمير المؤمنين في الحديث النبوي وكتابه الصحيح هو الذي يخبرنا بصفاته قبل أن

---

(١) الكلاباذي أبو نصر (أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي أبو نصر،ت ٣٩٨هـ) ، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد،تحقيق : عبد الله الليثى ،ج١(بيروت: دار المعرفة ،١٤٠٧هـ) ، ص ص ٥٠ : ١٤٢.
(٢) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق،ج١،ص ٥٠٦.

يُتعرف عليها في كتب التراث فهو لا يقطع عهدا ولا يؤذي جاره ولا يغتاب أحدا مهماُعرف عنه من العيوب حتى في روايته للأحاديث كما أنه يتميز بالورع والخشوع في صلاته وفي طريقة حياته وهو يتصف بالزهد لا يطلب من الدنيا سوى ما يسد رمقه ويجعله قادرا على مواصلة البحث في الحديث الشريف كما أنه دائما يختم القرآن الكريم ويتعبد به في الليل والناس نيام كما أنه مثابر ومجتهد في البحث فكان يسهر الليالي الطوال في التنقيب عن الحديث الشريف وتحرى الصحيح منه ودرء الضعيف ثم تدوينه وكل هذا لا يبعده عن التحلي بجمال المظهر والنظافة الجسمية فنظافة العقل تدل على نظافة الجسم..

وفيما يلي تفصيل لبعض الصفات التي اتصف بها الإمام البخاري (١):

١- <u>لا ينقض عهدا أبرمه حتى ولو كان هذا العهد في النية:</u>

فقد حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه أبو حفص فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم فقال لهم : انصرفوا الليلة فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم وقال إنى نويت البارحة أن أدفعها إلى الأولين فدفعها إليهم وقال لا أحب أن أنفض نيتى .

٢- <u>يرعى الجار ويحافظ على حقوق الآخرين مهما صغرت:</u>

فقد كان الإمام البخاري يركب إلى الرمى كثيرا ولم يعرف عنه أنه أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين وقال ركبنا يوما إلى الرمى ونحن "بفربر"(مدينة ببلاد الترك

---

(١) فضلا انظر في :

-الجرجانى (عبد الله بن عدي الجرجاني أبو أحمد، ت ٣٦٥هـ) <u>أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه (في جامعه الصحيح)</u>، تحقيق : عامر حسن صبرى، (بيروت : دار البشائر الإسلامية،١٤١٤هـ)،ص٤٩.

-الحاكم النيسابورى (محمد بن عبد الله بن حمدويه الحاكم النيسابوري أبو عبد الله ، ت ٤٠٥هـ)،<u>المدخل إلى الصحيح</u>، تحقيق :د.ربيع هادى عمير المدخلى ،(بيروت : مؤسسة الرسالة،١٤٠٤هـ)، ص٢٠.

-ابن حجر العسقلانى (أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ،ت٨٥٢هـ) ، <u>تغليق التعليق على صحيح البخاري</u>، تحقيق : سعيد عبد الرحمن موسى القزقى،ج٥،(بيروت : المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ) ،ص٤٢٣.

معروفة) فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدى إلى " الفرضة"(مكان شرب الماء على النهر) فجعلنا نرمى فأصاب سهم أبى عبد الله وتد القنطرة (الجسر الذي يعبر به على النهر) التي على النهر فانشق الوتد فلما رأى ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمى وقال لنا ارجعوا فرجعنا فقال لى يا أبا جعفر لى إليك حاجة وهو يتنفس الصعداء ، فقلت نعم قال تذهب إلى صاحب القنطرة فتقول :إنا أخللنا بالوتد فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله أو تأخذ ثمنه وتجعلنا في حل مما كان منا وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر فقال لى أبلغ أبا عبد الله السلام وقل له أنت في حل مما كان منك فإن جميع ملكى لك الفداء فأبلغته الرسالة فتهلل وجهه وأظهر سرورا كثيرا وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث وتصدق بثلثمائة درهم .

٣- عدم الغيبة :

يتميز البخاري بأنه لا يذكر عيبا في إنسان قط حتى ولو كان هذا عيب متأصل فيه فعندما يذكر البخاري رواة الأحاديث كان يتوخى الحذر في كلامه عند الجرح والتعديل فيقول – عن الرجال – سكتوا عنه أو تركوه ونحو ذلك وقل أن يقول على الراوى كذاب أو وضاع وإنما يقول كذبه فلان رماه فلان يعنى بالكذب ويقول الإمام البخاري على لسانه: لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبنى أنى اغتبت أحدا.

٤-خاشعا في صلاته:

فقد رؤى ذات يوم يصلى فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة فلما قضى صلاته قال انظروا أى شيء هذا الذي آذانى في صلاتى فنظروا فإذا الزنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعا ولم يقطع صلاته. وهذا يدل على مدى خشوعه في صلاته لدرجة أنه لا يشعر بلسعات الزنبور مع أنها شديدة جدا .

٥-الزهد:

فقد روى أنه قليل الأكل جدا كثير الإحسان إلى الطلبة مفرط الكرم ؛ فقد روى أن الإمام البخاري مرض فعرضوا ماءه على الأطباء فقالوا إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفة النصارى فإنهم لا يأتدمون (**يأكلون اللحم مع العيش**) فصدقهم محمد بن إسماعيل وقال : لم آتدم منذ أربعين سنة فسألوا عن علاجه فقالوا علاجه الآدم فامتنع حتى ألح عليه المشايخ وأهل العلم فأجابهم إلى أن يأكل مع الخبز سكرة.وهذا يدل على تعففه وكرمه حتى وصل به الحال لدرجة المرض من عدم أكل اللحم .

٥- يختم القرآن بانتظام :

فقد كان الإمام البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلى بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية وكذلك إلى أن يختم القرآن ، وكان يقرأ في السحر (**قبيل الصبح**) ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليالٍ وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة ويقول عند كل ختمة دعوة مستجابة وهذا يدل على انتظامه في ختم القرآن وحرصه على تلاوته .

٦-مجاهد ومثابر في البحث :

فقد روى أنه يقوم في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيورى نارا بيده ويسرج (**يشعل مصباحا لينيرله**) ويخرِّج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه ، وكان يصلى في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة ويوتر منها بواحدة وفي رده مرة على من يرمونه بأنه يدلس (**يكذب**) في الأحاديث النبوية فقال لأحد منهم :يا أبا فلان ترانى أدلس وقد تركت عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر (**أى ليس ثقة في روايته للحديث**) وتركت مثلها أو أكثر منها لغيره لى فيه نظر وهذا يدل على مدى تحرى الإمام

البخاري في روايته للحديث فكان لا يأخذ إلا من رجل لم يعرف بالكذب أبدا حتى ولو كان كذبا على سبيل المزاح وهو ما يسمى بالعدل الضابط في علم الحديث .

٧-المحافظة على النظافة :

ففي أحد مجالس الإمام البخاري شاهد إنسانا "**يرفع من لحيته قذاة (قذارة) وطرحها إلى الأرض ، فقد شوهد الإمام البخاري ينظر إليها وإلى الناس فلما غفل الناس رأيته مد يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمه فلما خرج أخرجها وطرحها على الأرض فكأنه صان المسجد عما تصان عنه لحيته** " وهذا يدل على مدى حرص الإمام البخاري على النظافة الشخصية والمكانية .

ومما سبق يتضح أن البخاري يتميز بصفات قل أن تجدها في عالم مثله فهو ورع تقى فقيه كريم يحافظ على النظافة ورع في صلاته وخشوعه لا يكذب مطلقا وكان يختم القرآن بانتظام وهذا يعطيه دفعه في رواية الأحاديث النبوية الصحيحة فقد شقى نفسه بجمع الأحاديث الصحيحة ليس من أجل دعاية له ولكنه ألزم نفسه بهذا تقربا إلى **الله** ورسوله (صلى الله عليه وسلم).

أقوال العلماء (شيوخه وأتباعه)في مدح الإمام البخاري :

قد شهد بتقدم البخاري في علوم الدين خلائق لا يحصون من كبار الأئمة منهم طائفة من شيوخه وأقرانه ، وأما أتباعه ومن جاء بعده فقد صارت منزلة البخاري عاليه في نفوس عامة أهل الإسلام والسنة الخاص منها والعام.

كما تعددت أقوال العلماء في الثناء والمدح للإمام البخاري وهذا المدح ليس ترفا أو نوعا من التقرب لغرض دنيوى أو غير ذلك بل كان هذا المدح لوجه الله وحبا في شخصية الإمام البخاري ومن هذه الأقوال(١) : -

١. **سليمان بن حرب** :[نظر إليه يوما فقال : هذا يكون له صيت كبير].
٢. **أبو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى** : [محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر بالحديث من أحمد بن حنبل ، فقال له رجل من جلسائه جاوزت الحد ، فقال له أبو مصعب : لو شاهدت مالكا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت كلاهما واحد ويقصد بقوله نظرت إلى وجهه عن التأمل في معارفه].
٣. **أحد الرجال عند أبى عاصم النبيل** : [هذا الغلام يناطح الكباش يعنى يقاوم الشيوخ وهذا يدل على قوة بصيرته] .

١- قتيبة بن سعيد :

- [جالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل وهو في زمانه كعمر بن الخطاب في الصحابة].
- وقال أيضا :[يا هؤلاء نظرت في الحديث ونظرت في الرأى وجالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل].

(١) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق،ج١،ص(٥٠٦-٥١٠)

obeikandl.com

- ويروى[أنه سئل قتيبة عن طلاق السكران فدخل محمد بن إسماعيل فقال قتيبة للسائل هذا أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعلى بن المدينى (وهم من كبار شيوخ الإمام الإمام البخاري) قد ساقهم الله إليك وأشار إلى البخاري].
- وقال قتيبة أيضا : [لقد رحل إلىَّ من شرق الأرض ومن مغربها فما رحل إلىَّ مثل محمد بن إسماعيل].

١- **يعقوب بن إبراهيم الدورقى ونعيم بن حماد الخزاعى**: [محمد بن إسماعيل البخاري فقيه هذه الأمة].

٢- **بندار محمد بن بشار** : [البخاري هو أفقه **خلق الله** في زماننا وسيد الفقهاء].

٣- **محمد بن سلام البيكندى** : قال للبخارى [انظر في كتبى فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه فقال له بعض أصحابه من هذا الفتى فقال هذا الذي ليس مثله وكان محمد بن سلام المذكور يقول كلما دخل على محمد بن إسماعيل تحيرت ولا أزال خائفا منه يعنى يخشى أن يخطئ بحضرته ، وقال سليم بن مجاهد يقول دخلت عند محمد بن سلام فقال لى لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث].

٤- **إسحاق بن راهويه** : قال :[يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبى الحسن البصرى لاحتاج إليه لمعرفته بالحديث وفقهه].

٥- **رجاء بن رجاء الحافظ** :[فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء ، وقال أيضا : هو آية من آيات **الله** تمشى على ظهر الأرض].

٦- **الحسين ابن حريث** : [لا أعلم أنى رأيت مثل محمد بن إسماعيل كأنه لم يخلق إلا للحديث].

٧- **يحيى بن جعفر البيكندى** يقول :[لو قدرت أن أزيد من عمرى في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت فإن موتى يكون موت رجل واحد وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم] .

٨- **عبد الله بن محمد المسندى** : [محمد بن إسماعيل إمام فمن لم يجعله إماما فاتهمه وقال أيضا حفاظ زماننا ثلاثة فبدأ بالبخاري] .

٩- **على بن حجر** : [أخرجت خرسان ثلاثة البخاري فبدأ به ، قال وهو أبصرهم **وأعلمهم بالحديث وأفقههم وقال لا أعلم أحدا مثله**].

١٠- **أبو حاتم الرازى** : [لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن إسماعيل ولا قدم منها إلى العراق أعلم منه].

١١- **الحسين بن محمد بن عبيد المعروف بالعجلى** :[ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل ومسلم حافظ ولكنه لم يبلغ مبلغ محمد بن إسماعيل].

١٢- **وسئل الإمام الدارمى عن** حديث وقيل له إن البخاري صححه :[فقال محمد بن إسماعيل أبصر منى وهو أكيس **خلق الله** عقل عن **الله** ما أمر به ونهي عنه من كتابه وعلى لسان نبيه وإذا قرأ محمد بن إسماعيل القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه وتفكر في أمثاله وعرف حلاله من حرامه].

١٣- **أبو الطيب حاتم بن منصور** :[كان محمد بن إسماعيل آية من آيات **الله** في بصره ونفاذه في العلم].

١٤- **إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة** : [ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل].

١٥- **أبو عيسى الترمذى** :[لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن إسماعيل البخاري وقال له مسلم أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك].

١٦- **ومما سبق يتضح من العرض السابق لبعض أقوال العلماء من شيوخه وأتباعه** أن البخاري يحتاج في ثنائه لدراسة خاصة لأنه لو فتح باب المدح والثناء لملئت الكتب وهذا دليل على أنه عالم جليل فقد طلب العلم منذ صغره وجالس الناس ورحل في الحديث ومهر فيه وأبصر وكان حسن المعرفة حسن الحفظ .

الدليل على سعة حفظه :

١٧- أوتى البخاري من سرعة الحفظ وشدة الإتقان وقوة الذاكرة ما يقل نظيره فيه في زمانه ، يجمع في ذلك الذكاء والفطنة والنباهة وسرعة لاستحضار ما يريد ، كل ذلك وهو صبى لم يبلغ الحلم ومما يدل على قوة علم البخاري بالحديث أنه:

" قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل منهم عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة وسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة ، فقال البخاري : لا أعرفه فسأل عن آخر ، فقال البخاري : لا أعرفه ثم سأل عن آخر ، فقال لا أعرفه فما زال يلقي بمثله واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه فكان الفقهاء ممن

حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون الرجل فهمنا ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة ، فقال البخاري : لا أعرفه فسأله عن آخر، فقال لا أعرفه فسأل عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه ثم انتدب الثالث إليه والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على لا أعرفه فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم ، فقال : أما حديثك الأول فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل الآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها فأقر له الناس بالحفظ والعلم وأذعنوا له بالفضل"(١).

ويتضح مما سبق قوة حفظ البخاري ومدى تمكنه من الأحاديث النبوية فرد الأسانيد إلى المتون دون أن يخطئ وهذا لا يأتى به إلا عالم حاذق له قوة السند والمتن متمثلا في الإمام البخاري .

تاليف الكتاب الجامع :

قد توجه إلى تصنيف كتابه "صحيح البخاري " الذي يعد أصح كتاب بعد كتاب الله بسبب كلمة سمعها من شيخه :"إسحاق بن راهوية، روى عن البخاري أنه قال : كنت عند إسحاق بن راهوية ، فقال :لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله"(٢).

(١) أبو الحجاج المزى(يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، ت٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال، تحقيق:د.بشار عواد معروف، ج٢٤،(بيروت : مؤسسة الرسالة ،١٩٨٠م)، ص٤٥٣.

(٢)الإمام الذهبى، مرجع سابق، ج١٢،ص٤٠١

وقد أخرج البخاري أحاديث اعتقد صحتها تركها مسلم لما اعتقد فيها غير ذلك وأخرج مسلم أحاديث اعتقد صحتها تركها البخاري لما اعتقد فيها غير معتقده و"هو يدل على أن الأمر طريقه الاجتهاد لمن كان من أهل العلم بهذا الشأن وقليل ما هم" (١).

ومن أقوال البخاري في تصنيف كتابه الجامع (٢) :-

- [ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين]
- [صنفت الجامع من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بينى وبين الله].
- [صنفت كتابى الجامع في المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقن صحته].

ولما صنف البخاري كتاب الصحيح عرضه على ابن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى ابن معين وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث ، وقال الحاكم أبو أحمد : رحم الله محمد بن إسماعيل الإمام فإنه الذي ألف الأصول وبين للناس وكل من عمل بعده فإنما أخذ من كتابه كمسلم كما أن هذا الكتاب لم يجمع كل الأحاديث الصحيحة حيث يتميز هذا الصحيح بأنه مسند أى الذي ضم الأحاديث المرفوعة إلى النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) فما وجد فيه من غير الأحاديث النبوية مثل الآثار الموقوفة على الصحابة أو المقطوعة على التابعين فهو قليل وليس من موضوع الكتاب إنما يذكره البخاري لأن له حكم الأحاديث النبوية أو يذكره تبعا لحديث نبوي وكذلك الأحاديث

---

(١) الباجي(سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجى،ت ٤٧٤هـ) ، التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح،تحقيق : أبو لبابة حسين ج١،(الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع،١٩٨٦) ،ص ص ٦، ٧.

(٢) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق،ج١،ص ٥١٣.

المعلقة ليست أيضا من موضوع الكتاب وإنما يذكرها في توضيح الأبواب ، و صحيح البخاري لم يستوعب كل حديث صحيح ،كما أن صحيح البخاري كله صحيح ولكنه لم يشتمل على جميع الأحاديث الصحيحة بل إن في كتب غيره من العلماء من الحديث الصحيح الكثير مما لم يخرجه هو في كتابه وقد أفصح عن ذلك البخاري نفسه فقال : ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح وتركت من الصحيح حتى لا يطول وكان يحفظ مائة ألف حديث صحيح وانتخب كتابه من ستمائة ألف حديث وهذا ظاهر في كونه لم يقصد حصر الأحاديث الصحيحة فهو بذلك مختصر جامع.(١) .

تبويب الصحيح :

عنى الإمام البخاري بتبويب كتابه أحسن عناية وأودعه من دقائق العلم ما بلغ فيه الغاية.

افتتحه بحدث (**إنما الأعمال بالنيات**) إشارة إلى حسن القصد وسلامة النية – أطلق على أسماء الأبواب العامة اسم (**كتاب**) وربما قال : (**أبواب**) وما أورده تحت ذلك (**باب**) .

قدم ما هو أولى بالتقديم ، فكان (**بدء الوحى**) إشارة إلى كونه ابتداء الدين ثم (**الإيمان**) لأنه أساس الدين ثم (**العلم**) لأنه أداة الدين ثم العبادات وهكذا وختمها بـ (**التوحيد**) لكون صلاح جميع الأعمال ظاهرها وباطنها مما بينه في كتابه قائم على تحقيقه وتوثيقه(٢) .

(١) ابن حجر العسقلانى ، تغليق التعليق على صحيح البخاري، مرجع سابق،ج٥ ،ص٤٢٣.
(٢) المرجع السابق ، ج٥، ص٤٢٥.

وليس الغرض من الدراسة الحالية التحقق من الحديث الصحيح والحديث غير الصحيح ، فذلك له علم الصحيح وعلماؤه الذين أتقنوه جيدا ووضعوا له مقاييس الصدق والثبات ، بطريقة علمية ومنهج دقيق يناهز المعايير والمقاييس المعاصرة .

وإنما الغرض التعرف على مبادئ التربية البيئية في ضوء هذه الأحاديث الصحيحة وحتى لا يقع الباحث في اضطراب الأحاديث الضعيفة -وما أكثرها -وإن كانت هذه الأحاديث الضعيفة تخدم الدراسة الحالية، ولكن الباحث آثر أن يتبع الصحيح لتقوية الحجة وتأصيل للتربية البيئية على أسس صحيحة وسليمة.

مصنفات البخاري :

اهتمام البخاري بعلم الحديث رواية ودراية جعله يبرز في نواح متعددة من العلوم الدينية وما يرتبط بها وللإمام البخاري تصنيفات عديدة تدل على عالم قادر متمكن من نفسه وعلمه ومن أهمها (١):-

١- **الجامع الكبير**[من رواته أبو النصر بن ماكولا].

٢- **الأدب المفرد** [من رواته أحمد بن محمد بن الجليل].

٣- **رفع اليدين في الصلاة و القراءة خلف الإمام**[يرويهما محمود بن إسحاق الخزاعى].

٤- **التاريخ الكبير**[من رواته أبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس].

٥- **التاريخ الوسط** [من رواته **عبد الله** بن أحمد بن عبد السلام الخفاف].

٦- **التاريخ الصغير**[من رواته **عبد الله** بن محمد بن عبد الرحمن الأشقر].

٧- **خلق أفعال العباد**[من رواته يوسف بن ريحان بن عبد الصمد].

٨- **كتاب الضعفاء** [من رواته أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابى].

(١) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق،ج١،ص ص٥١٦، ٥١٧.

ومن تصنيفاته أيضا كتاب "المسند" و"التفسير الكبير" وكتاب "الأشربة" وكتاب "الهبة" و"أسامى الصحابة" وكتاب "المبسوط" وكتاب "العلل" وكتاب "الكنى" وكتاب "الفوائد".

ويتضح مما سبق أن علوم البخاري متعددة الجوانب وهي كما يلي[١] :

١- علم الحديث :

والمقصود بذلك حفظه له ومعرفته بأسانيده واختلاف وجوهها وهذا العمل قد بلغ فيه البخاري الغاية القصوى وكان فيه آية من آيات الله الباهرة .

٢- علم التفسير :

وكانت له به عناية المحدث العارف بالأسانيد ، اللغوي المدرك لمدلولات الألفاظ الفقيه المعني بتخريج الأحكام .

٣-علم الفقه :

سعة معرفة البخاري بالحديث ونيله نصيبا من علوم العربية ومعرفته منذ صباه بمذاهب أهل الرأى ، ومعرفته بقضايا الصحابة والتابعين – وقد صنف فيها وهو في الثامنة عشرة من عمره – كل ذلك جعل منه فقيها مقدما ، ومجتهدا بارعا ، حتى شهد له شيوخه العارفون بتقدمه في ذلك.

٤-علم التاريخ والسير:

وهذا الفن كان للبخاري فيه قصب السبق وقد عنى به منذ صباه وابتدأ التصنيف فيه وهو شاب.

---

(١) سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجى ،مرجع سابق ،ج١،ص ص ١٠ ، ١١.

obeikandi.com

٥-علم الجرح والتعديل :

وهو فيه إمام الصناعة وحامل لوائها ، كيف لا ؟ وهو الحافظ الذي يشبه أن تكون أسانيد الدنيا منذ عهد الصحابة إلى زمنه تحت نظره وبين يديه يميز أهل الضبط والإتقان عن ذوى الخلط والبهتان فتكلم البخاري في الرواة جرحا وتعديلا ، لكنه امتاز بشدة احترازه فيما يطلقه من ألفاظ في جرح الرواة وذلك خشية الوقوع في الغيبة وهذا من ورعه ولزومه جانب الحيطة.

٦-علم علل الحديث :

وهو أدق علوم الحديث وأصعبها لخفائه وكان للبخارى فيه علم وفير فلا شك أن المحدث الذي لا يفهم هذا العلم ولا يتقنه لا يمكنه تصنيف كتاب تجريد الحديث الصحيح عن غيره فالبخاري ألف كتابه الصحيح وهو أكبر دليل على وعيه التام بهذا العلم..

٧-علم اللغة :

لم يكن هذا العلم من العلوم التي برز بها وتميز ، لانشغاله بغيره لكنه قد أوتى نصيبا منه وهو آلة الفقيه التي لا يستغني عنها .

وفاته:

روى عن "غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه البخاري بخرتنك يقول : إنه أقام أياما فمرض حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج إليهم فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها وأنا آخذ بعضده قال أرسلونى في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة قال ففعلنا فلما

أدرجناه في أكفانه وصلينا عليه ووضعناه في حفرته فاح من ترابها رائحة المسك إلى أن جعلنا عليه خشبا مشبكا"(١).

وكانت وفاته " في ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين وكانت مدة عمره اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما تغمده الله برحمته آمين"(٢).

obeikandl.com

(١) الإمام الذهبى،مرجع سابق ، ج١٢،ص٤٦٧.
(٢) ابن حجر العسقلانى ، تغليق التعليق على صحيح البخاري، مرجع سابق ، ج٥، ص٤٤١.

التعريف بالإمام مسلم :

نسبه

هو الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري"وهي نسبة إلى القبيلة التي ينتمى إليها ، وقيل هو عربي الأصل وقيل نسبته إلى قشير نسبة ولاء"(*) النيسابوري " وهي نسبة إلى بلد إقامته نيسابور، وهي مدينة كبيرة من بلاد خراسان"(**) ثقة حافظ إمام مصنف عالم بالفقه إمام أهل الحديث ، ولم يتيقن العلماء سنة ولادته ، فقال بعضهم ،سنة (٢٠٤)هجرية وقال بعضهم سنة (٢٠٦) هجرية ومن صفاته الجسمية ، كان تام القامة ،أبيض الرأس واللحية ، يرخي طرف عمامته بين كتفيه(١).

تلقيه العلم :

إن البيئة التي نشأ فيها الإمام مسلم مهدت أمامه الطريق لطلب العلم النافع ، فقد كانت نيسابور بلادا حية بالعلم الموروث عن صاحب الشريعة لكثرة من فيها ممن لا يحصيهم إلا الله ممن يشتغل بالعلم تحصيلا وتعليما ، فكيف الظن بمن يولد في مثل هذا المجتمع وينشأ فيه ؟ لذلك كانت فرصة الطلب المبكر مهيأة لمسلم ليجنى من ثمار علوم الشريعة وهو لا يزال غلاما لم يشتد عوده .

فسمع الحديث ببلده سنة (٢١٨) هجرية من شيخه يحيى بن يحيى التميمي ،أى وعمره اثنتا أو أربع عشرة سنة ، وربما كان لوالده وأهل بيته نصيب من دفعه إلى ذلك ، فقد ذكروا أن والده من المشيخة ،أى ممن عنى بعض الشيء بالعلم وتحصيله ، ووفق مسلم

(*) السيوطى (عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،ت٩١١هـ)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي،تحقيق:عبد الوهاب عبد اللطيف،ج٢ ،(الرياض: مكتبة الرياض الحديثة،د.ت)،ص٣٦٢.

(**) البغدادى أبو بكر(محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر،ت٦٢٩هـ)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد،تحقيق : كمال يوسف الحوت،(بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ)،ص٤٤٦.

(١) شمس الدين الذهبى، (شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي،ت٦٧٣هـ)، المقتنى في سرد الكنى،تحقيق :محمد صالح عبد العزيز المراد ،ج١،(المدينة المنورة:مطابع الجامعة الإسلامية،١٤٠٨هـ)،ص١٨٧.

obeikandi.com

للخروج حاجا سنة (٢٢٠) هـ فسمع في خرجته تلك الحديث من جماعة ، ثم أسرع العودة إلى وطنه نيسابور ، ثم كانت رحلته الواسعة من بعد على ما هو مبين في رحلاته(١).

ومن خلال ما سبق يتضح أن الإمام مسلم أفنى عمره في تحصيل العلم ونشره حتى كتب الله له القبول وكان من أهل الفضل والمنزلة الرفيعة وكان خير من أنجبتهم نيسابور.

شيوخه :

حققت لمسلم رحلته الواسعة السماع من خلق كثير من حملة السنن والآثار من الحفاظ الكبار والثقات الأخيار فمن دونهم.

وقد أحصى الحافظ الذهبى من روى عنهم في الصحيح فبلغهم (٢٢٠) رجلا ، وله غيرهم ممن لم يرو عنهم في صحيحه ، فمن كبار شيوخه (٢) :

١- عبد الله بن مسلمة القعنبي ، وهو أكبر شيخ له .

٢- أحمد بن حنبل الإمام المقدم .

٣- إسحاق بن راهوية الفقيه المجتهد الحافظ.

٤- يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل ومعرفة الرجال.

٥- إسحاق بن منصور الكوسج الحافظ.

٦- أبو بكر بن أبى شيبة صاحب التصانيف.

٧- عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي صاحب المسند.

٨- أبو كريب محمد بن العلاء الحافظ.

٩- محمد بن عبد الله بن نمير الحافظ الناقد

---

(١) الأصبهانى ،مرجع سابق، ج١، ص٣٣.

(٢) ابن منجويه (أحمد بن على بن منجويه الأصبهانى ،ت :٤٢٨هـ) ، رجال صحيح مسلم، تحقيق : عبد الله الليثى، ج١،(بيروت : دار المعرفة، ١٤٠٧هـ)، ص٣٠ : ٤٠.

١٠- عبد بن حميد صاحب المسند وغيره.

تلاميذه :

اشتغل الإمام مسلم ببث علمه في بلده وغيره من بلاد الإسلام بلسانه وقلمه ، فأملى وحدث ، فسمع منه الخلق الكثير الذين جعلوا عنه علمه وأوصلوه لمن بعدهم .

فقد "روى عنه أبو عيسى الترمذى ويحيى بن صاعد ومحمد بن مخلد وإبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الزاهد وهو راوية صحيح مسلم ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ومحمد بن عبد الوهاب الفراء وعلى بن الحسين ومكى بن عبدان وأبو حامد أحمد بن محمد الشرقى وأخوه عبد الله وحاتم ابن أحمد الكندى والحسين بن محمد بن زياد القبانى وإبراهيم بن أبى طالب وأبو بكر محمد بن النضر الجارودى وأحمد بن سلمه وأبو عوانه يعقوب بن إسحاق الإسفراينى وأبو عمرو أحمد بن المبارك المستملى وأبو حامد أحمد بن الأعمش وأبو العباس محمد بن إسحاق بن السراج وزكريا بن داود الخفاف ونصر بن أحمد الحافظ يعرف بنصرك وخلائق كثيرة ".(١)

إجماع العلماء على إمامته :

شهد لمسلم بالتقدم والإمامة والمعرفة والحفظ أئمة الشأن من مشايخه وأقرانه فمن بعدهم من علماء الأمة ، كما أجمع علماء الحديث قاطبة على مكانة مسلم العالية "وأجمعوا على جلالته وإمامته وعلو مرتبته وحذقه في هذه الصنعة وتقدمه فيها وتضلعه منها ومن أكبر الدلائل على جلالته وإمامته وورعه وحذقه وقعوده في علوم الحديث واضطلاعه منها وتفننه فيها كتابه الصحيح الذي لم يوجد في كتاب قبله ولا بعده من حسن الترتيب وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة ولا نقصان والاحتراز من التحويل في الأسانيد

---

(١) المرجع السابق ، ج١،ص(٦٧: ٨٠).

عند اتفاقها من غير زيادة وتنبيه على ما في ألفاظ الرواة من اختلاف في متن أو إسناد في حرف واعتنائه بالتنبيه على الروايات المصرحة بسماع المدلسين" (١) وغير ذلك مما هو معروف في كتابه.

ومن أقوال العلماء في حق الإمام مسلم ما يلي (٢)

١-قول شيخه إسحاق الكوسج : (لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين).

٢-وقول شيخه محمد بن عبد الوهاب الفراء : (كان من علماء الناس ومن أوعية العلم ، ما علمته إلا خيرا).

٣-وقول شيخه محمد بن بشار بندار : (حفاظ الدنيا أربعة أبو زرعة بالرى ، ومسلم بنيسابور ، وعبد الله الدارمي بسمرقند ومحمد بن إسماعيل ببخارى).

٤-وقول تلميذه عبد الرحمن بن أبى حاتم : (كتبت عنه بالري وكان ثقة من الحفاظ ، له معرفة بالحديث ، سئل أبي عنه فقال صدوق).

٥-قول مسلمة بن قاسم الأندلسى : (ثقة جليل القدر من الأئمة)

٦-وقول الخطيب البغدادي : (أحد الأئمة من حفاظ الحديث)

٧-وقال الذهبى : (الإمام الكبير ، الحافظ المجود ، الحجة الصادق)

رحلاته :

الرحلة في طلب الحديث شعار أهل الحديث في القرون الأولى ، وذلك لتفرق حملة السنن والآثار في بلاد الإسلام الواسعة ، وكون التدوين والتصنيف في أول أمره ، فسلك مسلم سبيل أهل الشأن وضرب في ذلك بنصيب وافر ، حيث كانت له رحلتان :

---

(١) الشهرزورى أبو عمرو (عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري أبو عمرو،ت :٦٤٣هـ)، صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط ،تحقيق : موفق عبد الله عبد القادر ،(بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٨هـ)،ص٥٥.

(٢) الإمام النووى ، صحيح مسلم بشرح النووي مرجع سابق، ج١، ص٧.

الأولى :

رحلته إلى الحج سنة (٢٢٠) هجرية ، وهو غلام ، لقى فيها شيخه عبد الله بن مسلمة القعنبي بمكة وسمع منه ، كما سمع في طريق بالكوفة من أحمد بن يونس وجماعة ثم عاد إلى بلده ولم يطل الرحلة.

الثانية :

رحلته الواسعة بقصد الطلب وكانت بدايتها قبل سنة (٢٣٠) هـ فطاف البلاد وأكثر السماع ، حتى سمع من خلق كثير مما حصل له به من بعد الإمامه ، حتى ألقى عصا الترحال في بلده نيسابور ، ويعد الإمام مسلم رحمه الله أحد أئمة الحديث وكبار المبرزين فيه وأهل الحفظ والإتقان والرحالين في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان فسمع بخراسان يحيى بن يحيى وإسحاق بن راهوية وآخرين وبالرى محمد بن مهران وأبا غسان وفي العراق ابن الحنبل وعبد الله ابن مسلمة وبالحجاز سعيد بن منصور وآخرين وبمصر عمرو بن سواد وحرملة بن يحيى وآخرين وقد روى عنه جماعة من كبار أئمة عصره وحفاظه (١).

مصنفاته :

قد كان جل اهتمام مسلم منصبا على تحصيل علوم الحديث دون سائرها من العلوم ، فلقى ذلك منه كل العناية منذ صباه حتى شب فيه ، ولم يزل كذلك حتى آخر حياته ، أما ما سوى ذلك من العلوم كالفقه والتفسير واللغة فلم يذكر مسلم في أهلها ، وهذا لا يعنى أنه لم يكن له حظ منها ، لأن من حصل تحصيله وأوتى ذكاءه وحفظه ومعرفته بالسنن والألفاظ النبوية لا يفوته أن يضرب منها بنصيب وإنما المقصود أنه لم يكن مبرزا

(١) المرجع السابق ، ج١ ، ص٩.

فيها ومتخصصا بمعرفتها ، بخلاف علوم الحديث فقد أحسن تحصيلها وأتقن معرفتها وصار فيها مقدما ، شهد له بذلك الكبار.

وقد صنف مسلم في علوم الحديث كتبا كثيرة منها هذا الكتاب الصحيح الذي جعل لمسلم به ذكرا جميلا وثناء حسنا إلى يوم الدين ومن مؤلفاته : كتاب المسند الكبير على أسماء الرجال وكتاب الجامع الكبير على الأبواب وكتاب العلل وكتاب أوهام المحدثين وكتاب التمييز ، وكتاب من ليس له إلا راو واحد ، وكتاب طبقات التابعين ، وكتاب المخضرمين وغير ذلك (١).

ومن "**حقق نظره في صحيح مسلم رحمه الله واطلع على ما أودعه في إسناده وترتيبه وحسن سياقه وبديع طريقه من نفائس التحقيق وجواهر التدقيق وأنواع الورع والاحتياط والتحرى في الروايات وتلخيص الطرق واختصارها وضبط متفرقها وانتشارها وكثرة اطلاعه واتساع روايته**"(٢) وغير ذلك .

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن أمهات العلوم الحديثية التي برز فيها مسلم هي(٣):

١- علم الحديث :

والمقصود به" العلم بسياقات الأحاديث ومتونها ، حفظا لنصوصها ، ومعرفة باختلافها وزياداتها ، وتمييزا لصحيحها من سقيمها ، وقد كان مسلم في هذا فارس

(١) الإمام مسلم (مسلم بن حجاج القشيرى النيسابورى أبو الحسين ، ت ٢٦١هـ) ، التمييز ،تحقيق : محمد مصطفي الأعظمى ،ج١، (المربع-السعودية: مكتبة الكوثر،١٤١٠هـ) ، ص٧.

(٢) السيوطى (عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، ت ٩١١هـ) ، طبقات الحفاظ،(بيروت :دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ) ،ص٢٦٤

(٣) الإمام الحاكم (الحاكم بن محمد بن عبد الله النيسابوري ، ت ٤٠٥هـ) ، معرفة علوم الحديث ، (المدينة المنورة : المكتبة العلمية ، ١٣٩٧هـ).

ميدانها ، ويكفيه صحيحه المعدود ثانى أصول السنة ، والمعول عليه بعد البخاري عند عامة الأمة"(١) .

٢- علم رجال الحديث :

وهو الأساس الذي يعتمد عليه المحدث في تمييز الأسانيد ومعرفتها ، وكان مسلم بصيرا به يعرف الأسماء والكنى والألقاب والأنساب والتاريخ والوفيات معرفة المحقق البصير وقد صنف في ذلك فأحسن.

٣- علم الجرح والتعديل :

وهو نقد رجال الحديث وتمييز ثقاتهم من ضعفائهم ، ومن أراد تخليص الصحيح من السقيم والغث من السمين لا يمكنه ذلك إلا بمعرفة هذا العلم الدقيق ومسلم من أمهر الناس بهذه الصناعة ، تكلم في الرجال فعدل وجرح ، فذكر طرفا من ذلك في مقدمة كتابه الصحيح .

٤- علم علل الحديث :

وهو أعوص هذه العلوم وأدقها وأخفاها وأوعرها ، يعتمد على ثقوب الفهم والمعرفة بالسنن والآثار ، ومسلم معدود من متقدمى أهل المعرفة به فقد علل وناقش فأحسن وأتقن وأحكم وأتم ، وصنف فيه التصانيف النافعة.

٥- وفاته :

مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسين مات بنيسابور عشية يوم الأحد من رجب سنة إحدى وستين ومائتين ابن خمس وخمسين وقيل ستين وقيل سبع وخمسين لأن المعروف أن مولده سنة أربع ومائتين ، وقد ذكروا في سبب موته أنه

---

(١) محمود الطحان ، تيسير علوم الحديث ، (الكويت : دار التراث ، ١٩٨٤م) .

obeikandi.com

عقد له مجلس للمذاكرة ، فسئل يوما عن حديث فلم يعرفه ، فانصرف إلى منزله فأوقد السراج ، وقال لأهله : لا يدخل أحد الليلة علىّ (وقد اهديت له سلة من تمر ، فهي عنده يأكل تمرة ويكشف عن حديث ، ثم يأكل أخرى ويكشف عن آخر ، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح وقد أكل تلك السلة وهو لا يشعر ووجد الحديث ، فحدث له بسبب ذلك ثقل ومرض ومات منه فرحمه الله ورضى عنه) (١).

الموازنة بين الإمام البخاري والإمام مسلم :

نستنتج مما سبق أن الإمام البخاري والإمام مسلم هما أدق من بحثا في علوم الحديث وأخرجا الأحاديث الصحيحة من غير شك وعند الموازنة بينهما نجد أنه قد انفرد صحيح مسلم بفائدة حسنة وهي كونه أسهل متناولا من حيث إنه جعل لكل حديث موضعا واحدا يليق به جمع فيه طرقه التي ارتضاها واختار ذكرها فيسهل على الطالب النظر في الحديث في مكانه الملائم ، فقد ورد عن البخاري عدة أحاديث في غير بابها وهي ترجع لعلة يعلمها البخاري فيصعب على الطالب جمع الحديث والاستفادة به (٢).

وهذا لا ينتقص من فضل الإمام البخاري على الإمام مسلم فلقد استفاد الإمام مسلم كثيرا من الإمام البخاري ، فقد روى أن الإمام مسلم ذهب إلى الإمام البخاري في نيسابور" فسأله عن حديث عبيد الله بن عمر عن أبى الزبير عن جابر قال بعثنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سرية ومعنا أبو عبيدة الحديث بطوله ، فقال البخاري حدثنا ابن أبى أويس حدثنى أخى عن سليمان بن بلال عن عبيد الله فذكر الحديث بتمامه ، قال فقرأ عليه إنسان حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن

---

(١) الإمام النووى (أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام)، تهذيب الأسماء واللغات ،(بيروت : دار الفكر،١٩٩٦م)،ص٣٩٥.

(٢) النووى ، صحيح مسلم بشرح النووي مرجع سابق، ج١، ص٢٤.

أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة عن النبي((صلى الله عليه وسلم) قال كفارة المجلس إذا قام العبد أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك فقال له مسلم في أحسن من هذا الحديث ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبى صالح تعرف بهذا الأسناد في الدنيا حديثا فقال محمد بن إسماعيل إلا أنه معلول فقال مسلم لا إله إلا الله وارتعد أخبرنى به فقال: استر ما ستر الله هذا حديث جليل رواه الناس عن حجاج بن محمد عن ابن جريج فألح عليه وقبل رأسه وكاد أن يبكى فقال اكتب إن كان ولابد : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن عون بن عبد الله قال قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم)كفارة المجلس،فقال له مسلم لا يبغضك إلا حاسد وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك "(١)

ويستنتج من الرواية السابقة أن البخاري كان أعلم بعلم الحديث من الإمام مسلم وهذا لا ينكر فضل كل منهما في تاريخ السنة النبوية فهما أصح كتب لحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

---

(١) الفهرى (محمد بن عمر بن محمد بن عمر رشيد الفهري أبو عبد الله ،ت ٧٢١هـ)، السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن ، تحقيق : صلاح بن سالم المصراتى، (المدينة المنورة:مكتبة الغرباء الأثرية ،١٤١٧هـ) ، ص١٤٠.

obeikandl.com

خاتمة :

إن رسالة السنة النبوية رسالة شريفة وعظيمة فبها يتم تنشئة الأفراد وعن طريقها تصنع المجتمعات، وهي منهج الأنبياء السابقين حيث قاموا بدورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوة أقوامهم بأقوم أسلوب تربوي، واستخدموا أساليب شتى في إبلاغ أوامر **الله تعالى** جاء ذكرها في كتاب **الله** العزيز.

وأشمل الطرائق التربوية دعوة رسول **الله** -**صلى الله عليه وسلم**- التي احتوت مختلف مراحل حياة الإنسان وتنوع مواهبه وتباين مداركه وأفكاره، وقد استقى المسلمون من نبعها طرقهم التربوية، وعلى الرغم من اختلاف تياراتهم العقدية ومشاربهم الفكرية إلا أن التربية النبوية كانت قادرة على أن تفي باحتياجات الجميع، وكانت كل طائفة من طوائف المسلمين تحاول أن تصوغ مبادئها ومعتقداتها وسلوك اتباعها في قالب ديني مستمد من **كتاب الله تعالى وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-** وقد يحالفها الصواب حيناً وقد ينأى عنها أحياناً أخرى، وكان نصيب أهل الحق والاستقامة هو الوقوف حيثما وقف **كتاب الله تعالى وسنة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-** والسير حيثما سارا، وقد كانت عنايتهم مبكرة بتربية سلوك أفرادهم وإنارة الطريق لهم بمعالم الهداية الربانية ومن ذلك جاءت دعوتهم مرتبطة بالعهد النبوي .

والتربية البيئية هي جزء من منظومة التربية الشاملة وقد أولت السنة النبوية الشريفة اهتماما بالغا بالتربية البيئية وسوف يتضح ذلك في الفصول التالية حيث استقى الباحث من خلال أعلام الحديث(**محل الدراسة**)المبادئ التي تقنن علاقة الإنسان ببيئته والأسس التي تقوم عليها تلك العلاقة وفي هذا الفصل قام الباحث بعرض للأهمية التربوية للسنة النبوية وحجية السنة النبوية وخصائصها ومقوماتها وكيفية فهمها الفهم الصحيح

وذلك بهدف التعرف على مكانة السنة النبوية وقدرها في أصول التشريع الإسلامي فهي تخدم الدراسة الحالية وتعطى له خلفية تأصيلية وكذلك عرض الباحث لأعلام الحديث الشريف – محل الدراسة – ليدلل على مكانتهم ومدى تحريهم الصدق في السند والمتن وما عانوه في جمع الأحاديث الصحيحة وتبويبها وفقا لمبادئ نافعة يستفيد منها المسلمون على اختلاف عصورهم ويستفيد منها الباحث في استخراج الأحاديث الصحيحة التي تؤصل لمبادئ التربية البيئية وتؤسس فلسفتها القويمة وهذا ما يوضحه الباحث في الفصول التالية.

obeikandl.com